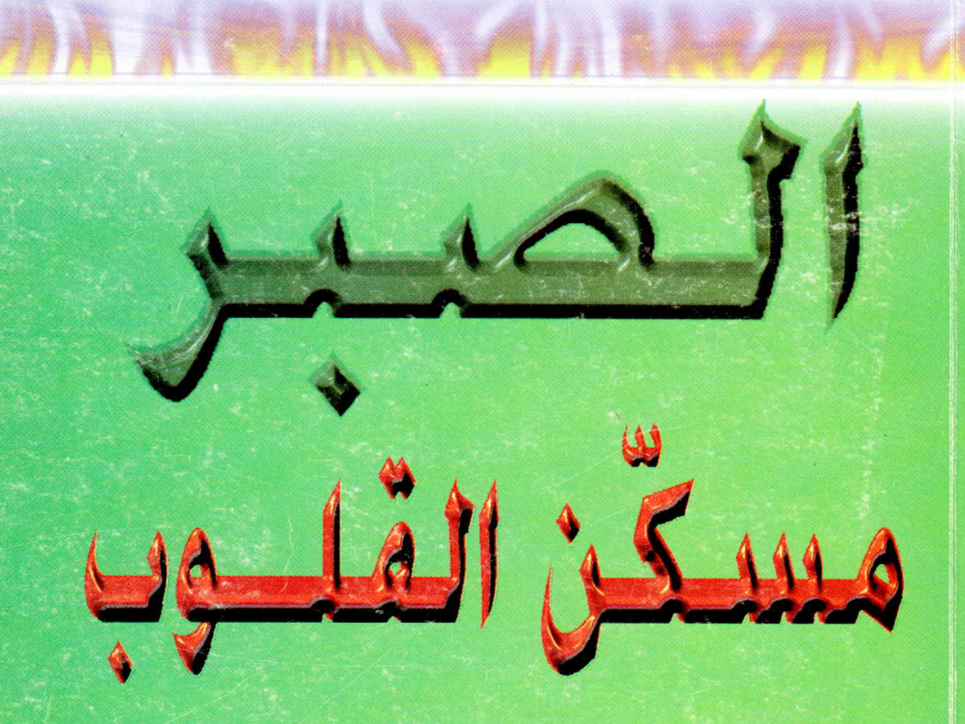
الخطيب الحسيني
فاضل الحيدري





بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)

صدق الله العلي العظيم

إهداء الى المرحوم الشاب المؤسوف عليه

محمد بدر ناصر العيدان

الفاتحة

الإهداء

إلى بطل الإسلام الخالد

إلى أصبر مَن عرفه التأريخ الإنساني

إلى الذي كان مع الحق و كان الحق معه

إلى الذي كان مع القرآن و كان القرآن معه

إلى إمام المتقين أبو الأئمة الميامين

علي أمير المؤمنين عليه السلام

أهدي هذه الأسطر المتواضعة علّني أنالُ بها شفاعته

يوم فاقتي وفقري وحسرتي

المقدمة

إنّ من جملة ما أحبّ الله سبحانه وتعالى من الفئات البشرية هي تلك الفئة الصابرة من الناس.

فيقول تبارك وتعالى في محكم كتابه المبين: ﴿كَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة/٢٤٩). ومما ورد في الأحاديث المرويّة عن النبي وآل بيته الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين قال عليٌّ عليه السلام حين سئل عن الصبر الجميل؟ قال: ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس، والشكاية بمعنى الإخبار عن سوء. وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: جائني جبرئيل عليه السلام فقال يا رسول الله إن الله أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحد قبلك قال صلى الله عليه وآله وسلّم: ما هي؟ قال: الصبر قال: فما تفسير الصبر قال: يصبر في الضراء

كما يصبر في السراء، وفي الفاقة كما يصبر في الغنى وفي البلاء كما يصبر في العافية فلا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيبه(١).

وإذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون كنّا نصبر على طاعة الله ونصبر عن المعاصي فيقول: صدقوا ادخلوا الجنة(٢).

وفي هذا الكراس وددتُ أن أوجز قدر الإمكان عن هذا الموضوع فتناولت مختلف أبعاده، ليتسنى لقارئي الكريم الجو المناسب لمعرفة الصبر بشكل دقيق، وذلك بحدود مرامِه وغرامِه لهذا الموضوع الأخلاقي الذي طالما افتقرهُ الكثير، لقلة عزيمتهم وثباتهم أمام المحن والكوارث والمعضلات الكثيرة.

ومما لا شك فيه أن المشاكل التي نعانيها إن لم تزداد فهي لا تقل قطعاً، ولكن هنالك شيء اسمه الإرادة وبهذه العَجَلة يمكن سحق كل أشكال المشكل وتحطيم أغلال جميع المحن والمصائب التي تحل بالإنسان يومياً وبلا رحمة وبلا هوادة.

---

(١) لئالئ الأخبار، ج١، ص١٥٤.

(٢) المصدر، ١٥٦.

وهذا الكراس عزيزي القارئ، كان نتاج تلك المشاكل التي عانيتها بنفسي حيث أني سألت نفسي ذات يوم وأنا أواجه براكين وزلازل عصفت بي من المشاكل، وأغلبها عاناها العظماء والعلماء.

وبلغوا سلم المجد والعظمة ببركة تلك المشاكل، فواجهوها بكل صبر وثبات وكل عزمٍ وشموخ.

هذه هي حقيقة الصبر التي تحلّو بها أولئك الرجال حتى يمكن كل واحدٍ منهم أن يصنع من نفسه عبقرية مستقلة بذاتها...

فأرجو من الله أن يلهمني ما كان يلهم أوليائه الصالحين من الصبر إنه ولي كل توفيق.

فاضل الحيدري

دمشق - السيدة زينب عليها السلام

٢٠ / ربيع الآخر / ١٤١٩هـ

معنى الصبر

إن معنى الصبر هو حبس النفس عما تشتهيه من المقبحات وحملها على الطاعات. وأكمل أفراد الصبر كفّ النفس عن الحظوظات النفسانيّة والموارات الجسمانية، والشهوات الحيوانية المباحة فضلاً عن المقبحة بحيث صارت مركوبة لا راكبة.

الصبر لغةً:

وحقيقة الصبر تجرُّع الغصص عند المصائب واحتمال البلايا كما في مسكن الفؤاد ناسباً له إلى اللغة:

الصبر الحبس للنفس من الفزع من المكروه والجزع منه وإنما يكون ذلك بمنع باطنه من الاضطراب وأعضائه من الحركات الغير المعتادة وغاية الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة ويرجح المحنة على النعمة للعلم بحسن عاقبتها والتصبر

السكون عند البلاء مع تحمل أثقال المحنة عند عظمها قال الديلمي:

صبرت و لم أطلع هواي على صبري
وأخفيت ما بى منك عن موضع الصبر
مخافة أن يشكو ضميري صبابتي
إلى دمعتي سراً فيجري ولا أدري

تعريفات أخرى للصبر:

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عن ما تحبّ. قال عليه السلام : الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن جميل وأحسن من ذلك الصبر عّما حرّم الله عليك .

البحارج ٧٠ ص ١٨٤

الصبر في القرآن الكريم

ومما تجدر الإشارة إليه ان القرآن الكريم كان وما يزال يعالج اهم القضايا التي تتعلق بموضوع الصبر. وهذه جملة من الآيات الشريفة التي أشار إليها القرآن الكريم

١- ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة/٤٥)

٢- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة/٦١)

٣- ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة/١٥٣)

٤- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة/١٥٥-١٥٦)

٥- ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة/١٧٥)

٦- ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِين صَدَقُوْا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة/١٧٧)

٧- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا

جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُواْ اللّهِ كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة/٢٤٩)

٨- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة/٢٥٠)

٩- ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ (آل عمران/١٧)

١٠- ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران/١٢٠)

١١- ﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالاَفٍ مِنَ الْمَلآَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (آل عمران/١٢٥)

١٢- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٢)

١٣- ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا

لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٦)

١٤- ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (آل عمران/١٨٦)

١٥- ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران/٢٠٠)

١٦- ﴿وَمَن لَم يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النساء/٢٥)

١٧- ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ

وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الانعام/٣٤)

١٨- ﴿وإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُالْحَاكِمِينَ﴾ (الاعراف/٨٧)

١٩- ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّآ إِلاَّ أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الاعراف/١٢٦)

٢٠- ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الاَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الاعراف/١٢٨)

٢١- ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الاَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَاكَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الاعراف/١٣٧)

٢٢- ﴿ وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاتَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الانفال/٤٦)

٢٣- ﴿ يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُمْ

مِائَةٌ يَغلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَيَفْقَهُونَ * الأَنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإن يَكُن مِنكُم مِّاْئَةٌ صَابرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإن يَكُن مِنكُمْ أَلْفٌ يَغلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابرِينَ﴾ (الانفال/٦٤-٦٦)

٢٤- ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (يونس/١٠٩)

٢٥- ﴿ إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (هود/١١)

٢٦- ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود/٤٩)

٢٧- ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (هود/١١٥)

٢٨- ﴿ وَجَآءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ ﴾ (يوسف/١٨)

٢٩- ﴿ قَالُوا أَءِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذآ أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُ مَن يَتّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ

أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف/٩٠)

٣٠- ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد/٢٢)

٣١- ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد/٢٤)

٣٢- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم/٥)

٣٣- ﴿ وَمَا لَنَآ أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم/١٢)

٣٤- ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَآءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَو هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَحِيصٍ﴾ (إبراهيم/٢١)

٣٥- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النّحل/٤٢)

٣٦- ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ

الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُو يَعْمَلُونَ ﴾ (النّحل/٩٦)

٣٧- ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النّحل/١١٠)

٣٨- ﴿ وإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾ (النّحل/١٢٦-١٢٨)

٣٩- ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (الكهف/٢٨)

٤٠- ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللَّهُ صَابِراً وَلآَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾ (الكهف/٦٧-٦٩)

٤١- ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾ (الكهف/٧٢)

٤٢- ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا

لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾ (الكهف/٧٨)

٤٣- ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تحتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾ (الكهف/٨٢)

٤٤- ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ (مريم/٦٥)

٤٥- ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (طه/١٣٠)

٤٦- ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه/١٣٢)

٤٧- ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الانبياء/٨٥)

٤٨- ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَآ أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الحج/٣٥)

٤٩- ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ

الْفَآئِـزُونَ ﴾ (المؤمنون/١١١)

٥٠- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَـكَ مِـنَ الْمُرْسَـلِينَ إِلاَّ إِنَّهُـمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَـامَ وَيَمْشُـونَ فِـي الاَسْوَاقِ وَجَعَلْنَـا بَعْضَكُـمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ (الفُرْقان/٢٠)

٥١- ﴿ إِن كَـادَ لَيُضِلُّنَـا عَـنْ ءَالِهَتِنَـا لَـوْلآ أَن صَبَرْنَـا عَلَيْهَـا وَسَوْفَ يَعْلَمُـونَ حِينَ يَــرَوْنَ الْعَـذَابَ مَـنْ أَضَــلُّ سَبِيـلاً ﴾ (الفرقان/٤٢)

٥٢- ﴿ اوْلَئِكَ يُجْـزَوْنَ الْغُرْفَــةَ بِمَـا صَـبَرُوا وَيُلَقَّــوْنَ فِيهَـا تَحِيَّـةً وَسَلاَمـاً * خَـالِدِينَ فِيهَــا حَسُـنَتْ مُسْتَقَــرّاً وَمُقَامـاً ﴾ (الفُرْقان/٧٥-٧٦)

٥٣- ﴿ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَـدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (القَصَص/٥٤)

٥٤- ﴿وَقَـالَ الَّذِيــنَ اُوتُـوا الْعِلْـمَ وَيْلَكُـمْ ثَـوَابُ اللَّـهِ خَيْــرٌ لِمَــنْ ءَامَــنَ وَعَمِــلَ صَالِحــاً وَلا يُلَقَّاهَــآ إِلاَّ الصَّـابِـرُونَ ﴾ (القصص/٨٠)

٥٥- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (العنكبوت/٥٩)

٥٦- ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْـتَخِفَّنَّكَ الَّذِيـنَ لاَيُوقِنُـونَ ﴾ (الروم/٦٠)

٥٧- ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان/١٧)

٥٨- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِنْ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (لقمان/٣١)

٥٩- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة/٢٤)

٦٠- ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّآئِمِينَ وَالصَّآئِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُم وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيمًا ﴾ (الاحزاب/٣٥)

٦١- ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سبأ/١٩)

٦٢- ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَآ أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ

سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصّافات/١٠٢)

٦٣- ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ (ص/٦)

٦٤- ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّاب ﴾ (ص/١٧)

٦٥- ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب ﴾ (ص/٤٤)

٦٦- ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر/١٠)

٦٧- ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ * إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَان أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (غافر/٥٥-٥٦)

٦٨- ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (غافر/٧٧)

٦٩- ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ (فصلت/٢٤)

٧٠- ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَـا يُلَقَّاهَـآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت/٣٥)

٧١- ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (الشّورى/٣٣)

٧٢- ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُـورِ﴾ (الشّورى/٤٣)

٧٣- ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَـوْمَ يَـرَوْنَ مَـا يُوعَـدُونَ لَـمْ يَلْبَثُـوا إِلاَّ سَـاعَةً مِـن نَهَـارٍ بَـلاَغٌ فَهَـلْ يُهْلَـكُ إِلاَّ الْقَـوْمُ الْفَاسِـقُونَ ﴾ (الاحقاف/٣٥)

٧٤- ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُـمْ حَتَّـى نَعْلَـمَ الْمُـجَاهِدِينَ مِنكُـمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (محمد/٣١)

٧٥- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَـيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات/٥)

٧٦- ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْـلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (ق/٣٩)

٧٧- ﴿اصْلَوْهَا فَـاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْـبِرُوا سَـوَآءٌ عَلَيْكُـمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الطور/١٦)

٧٨- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (الطور/٤٨)

٧٩- ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ (القمر/٢٧)

٨٠- ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ (القلم/٤٨)

٨١- ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ﴾ (المعارج/٥)

٨٢- ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ (المزمل ١٠)

٨٣- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر/٧)

٨٤- ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ (الإنسان/١٢)

٨٥- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ (الإنسان/٢٤)

٨٦- ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد/١٧)

٨٧- ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُواالصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر/١-٣)

فضيلة الصبر في الأحاديث الشريفة

فيما ورد في فضل الصبر وعظم قدره وجزيل ثوابه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر عند الطاعة، وصبر عند المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاث مأة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض. ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمأة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى الأرش. ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمأة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

وقال صلى الله عليه وآله وسلّم:

إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلايق في صعيد واحد ونادى مناد من عند الله يسمع آخرهم كما يسمع أولهم

يقول: أين أهل الصبر؟ قال فيقوم عنق من الناس فيستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم: ما كان صبركم هذا الذي صبرتم فيقولون: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصيته قال: فينادي مناد من عند الله صدق عبادي خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب.

قول الإمام السجاد في الصابرين

وقال السجاد عليه السلام إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد أين الصابرون ليدخلوا الجنة بغير حساب؟ قال فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم الملائكة فيقولون: إلى أين يا بني آدم؟ فيقولون إلى الجنة فيقول قبل الحساب؟ فقالوا: نعم قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: الصابرون قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عن معصية الله حتى توفانا الله قالوا: أنتم كما قلتم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

وقال عليه السلام إذا قامت القيامة يأتي بقوم النوق من النور فيركبون ويدخلون الجنة بغير وقوف في العرصات وبغير حساب، وهم الصابرون في البأساء والضراء.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان و لم

ينشر لهم ديوان ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزُّمر/١٠) أي لكثرته لا يمكن عدّه وحسابه وذلك لصبرهم على شدائد الدنيا والمصائب، والأمراض والبلايا...

وروى الصادق عن أبيه عليهما السلام أنه قال: لما حضر علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمني إلى صدره وقال: يا بني اصبر على الحق وإن كان مرّاً توفّ أجرك بغير حساب قال تعالى: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو في ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً(١).

---

(١) لئالئ الأخبار، ج١، ص٢٥٦.

الصبر عند النوائب

إن الصبر عند النوائب هو الصبر الحقيقي. فهناك من يصبر لأمور طبيعية فهذا النوع من الصبر ليس فيه تكلف ولا مشقة.

ومثاله أن لو حدث زلزال أو جاء سيل أو عصفت به الرياح وقد سببت هذه الكوارث الطبيعية خسارة مادية، كتدمير مزرعة عبر السيول، أو تدمير محل بزلزال، أو تدمير الأشجار بالعواصف الهوائية وما شاكل ذلك، فهذه كلها أمور طبيعية.

أما القضايا الغير طبيعية هي التي يمتحن بها الإنسان. مثل أن يذهب في يوم واحد سبعة أبناء منه ومع ذلك نراه صابراً محتسباً وذلك بالنسبة لعبد الله بن عامر في الطاعون الجارف فقال إني مسلم ومسلّم.

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضل بن العيّاض ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً ولا مبتسماً إلا يوم مات ابنه علي فقلت في ذلك فقال: إنّ ا لله أحب أمراً فأحببت ذلك وأصيب عمر ابن الكعب الهندي بتستر فكتموا إياه الخبر ثم بلغه فلم يجزع فقال: الحمد لله الذي جعل من صلبي من أصيب شهيداً ثم استشهد له ابن آخر فلما بلغه الخبر قال: الحمد لله الذي توفّى مني شهيداً.

مات عبد الله بن مطرف فخرج أبوه مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد أدهن فغضبوا وقالوا: يموت عبد ا لله وتخرج في ثياب حسنة مدهناً؟ فقال وقد وعدني ربي عليها ثلاث خصال هي أحبُّ إليّ من الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وإِنّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ (البقرة/١٥٦).

ودفن رجل من أهل اليمامة ثلاثة رجال من ولده وكان مسروراً متكلّماً بين الناس كأنه لم يمت منه أحد. فقيل في ذلك؟ فقال: ليس موت الأولاد بجديد ولست في إصابة المصيبة متفرّداً وليس في الجزع فائدة فبم تلومونني".

وقال الشعبي: رأيت رجلاً يدفن ابنه فلما حثّى عليه التراب

وقف على قبره وقال: يا بنيّ كنت هبة ماجد، وعطيّة واحد، ووديعة مقتدر، وعارية منتصر، فاستردك واهبك، وقبضك مالكك، وأخذك معطيك فأخلفني الله عليك بالصبر ولا أحرمني بك الأجر ثم قال: أنت في حلّ من قبلي والله اولى عليك بالتفضل مني.

ولما مات ذر ابن أبي ذر وقف أبو ذر على قبره ومسح يده على قبره وقال والله ما ضرّني فقدك، وما دخلني منه مذلّة، وما لي حاجة إلى غير الله منعني الغمّ لك ولفقدك والله لا أبكي لك بل أبكي عليك ما يرد عليك يا ليتني كنت أدري ما قلت وما قيل لك. وفي مسكن الفؤاد وكان أبو ذر لا يعيش له ولد فقيل: إنك امرء لا يبقى لك ولد فقال الحمد لله الذي يأخذ من دار الفناء ويدخلهم في دار البقاء.

قصة الإمام الصادق في وفاة ولده إسماعيل

عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه قال: نعيّ إلى الصادق عليه السلام إسماعيل وهو أكبر أولاده وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماؤه فتبسم ثم دعا بطعامه فقعّد ندماؤه وجعل يأكل أحسن من أكله ساير الأيام ويحثّ ندماءه ويضع بين أيديهم ويعجبون منه لا يرون للحزن في وجهه أثراً فلما فرغوا قالوا: يا بن رسول الله لقد رأينا منك عجباً أصبت بمثل هذا الابن وأنت كما نرى فقال: وما لي لا أكون كما ترون؟ وقد جاءني خبر أصدق الصادقين أني ميت وإيّاكم إن قواماً عرفوا الموت فلم ينكروا ما يخطفه الموت منهم وسلّموا لأمر خالقهم عز وجلّ.

قصة الإمام زين العابدين بفقد ولده

وروى أن قوماً كانوا عند علي بن الحسين عليه السلام فاستعجل خادم بشوي في التنور فأقبل مسرعاً فسقط من يده على ابن لعلي بن الحسين فأصاب رأسه فقتله فوثب علي بن الحسين فلما رأى ابنه ميتاً قال للغلام: أنت حر أما إنك لم تتعمّده، وأخذ في جهاز ابنه. وفي نقل آخر كان عنده يوماً أضياف فأخرج غلامه شوياً من التنور فعجّل في حضوره على الخوان فسقط من يده على طفل ذكر صغير له فقتله فاضطرب الغلام وتحيّر فلما رأي اضطرابه قال له : لا تضطرب ما فعلته من عمد أعتقتك فتوجّه إلى الطعام مع الأضياف في بشاشة وطلاقة وجه حتى فرغوا من طعامهم ثم اشتغل بدفن ولده.

رجل ابتلى بأنواع البلاء

في الرواية أنه قدم إلى بعض الخلفاء قوم من بني عبيس فيهم رجل ضرير فسأله عن عينيه فقال: بت في ليلة في بطن وادٍ ولم أعلم عبسياً يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير بعير وصبي مولود وكان البعير صعباً فشرّد فوضعت الصبي واتبعت البعير فلم أجاوز إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني فرجعت إليه ورأس الذئب في بطنه وهو يأكله ولحقت البعير لأحبسه فبعجني البعير برجله وذهب بعيني فأصبحت لا مال ولا أهل ولا ولد ولا بصر...

الشكوى

نحن مــأمورون بإظهــار النعــم الــتي أنعــم بهــا ا الله ســبحانه وتعالى علينا. ﴿وَأَمَّـا بِنِعْمَـةِ رَبِّـكَ فَحَـدِّثْ﴾ (الضحـى/١١) كما إنّا مأمورون بإخفاء البلاء والمكروه الذي يصيبنا وكتمانه عن الناس، وعدم الشــكوى منـه إلا إلى ا الله ســبحانه وتعـالى: يقول الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لولــده الصــادق عليـه السلام يا بني من كتم بلاء ابتلى به من الناس، وشكى إلى ا الله عز وجل كان حقاً على ا الله أن يعافيه من ذلك(١).

ويقول الإمــام الصـادق عليـه السـلام كتمـان المصيبـة مـن كنوز البر(٢).

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) مشكاة الأنوار ٢٧٨.

ومضافاً الى الأجر الذي نحصله في الكتمان فإن في الشكوى مضاراً دنيوية كثيرة منها: إن الذين تشكو إليهم لا يرتاحون لحديثك، وهم لا يخلون من محب أو مبغض، فالمحب يتألم لذلك ويدخله حزن، وكان الأجدر بك أن لا تؤذي محبك، والمبغض يشمت ويفرح وأنت لا تريد له ذلك وأكثر من هذا بالشكوى يسقط مقام الإنسان في المجتمع، وينزل معنوياته، فأنت مثلاً لو أكثرت الشكوى من الفقر فلا تجد من يقرضك أو يشاركك أو يتعامل معك ولعل النهي الوارد في الأخبار في عدم الشكوى لهذا اللحاظ، فالله سبحانه وتعالى يريد العزة لعباده ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون/٨) وجاءت الرواية في سيرة يعقوب عن جابر. قال قلت لأبي جعفر عليه السلام ما الصبر الجميل؟ قال: ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى أحد من الناس إنّ إبراهيم بعث يعقوب إلى راهب من الرهبان عابد من العباد في حاجة، فلما رآه الراهب حسبه إبراهيم فوثب إليه فاعتنقه ثم قال: مرحباً بخليل الرحمن. فقال له يعقوب: إني لست بخليل الرحمن، ولكن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. قال له الراهب: فما الذي بلغ ما بك أرى من الكبر؟ قال: الهم والحزن والسقم.

قال: فما جاز عتبة الباب حتى أوحى الله إليه يا يعقوب شكوتني إلى العباد؟ فخرّ ساجداً عند عتبة الباب يقول: رب لا أعود، فأوحى الله إليه: إني قد غفرت لك فلا تعد إلى مثلها، فما شكى شيئاً مما أصابه من نوائب الدنيا، إلا أنه قال يوماً: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم ما لا تعلمون) (١).

---

(١) تفسير البرهان ٢/٢٦٢.

طريق الخلاص من البلاء

قبل الخوض في أصل البلاء والبلايا بشكل عام، لابد من أن نفكر كيف نتخلص فيما لو حلّ بنا البلاء...

وفي كل مشكلة من مشاكلنا اليومية لابد وأن نفكّر بإيجاد الحلول المناسبة لتلك المشاكل. وتشخيص العلة وحدها لا تكفي ما لم نفتش عن الحلول الوقائية التي تمنع من وصول تلك البلايا.

ومن أهم الحلول الوقائية التي وضعها الشارع المقدس هي الحلول التي بينها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، حيث حثوا كثيراً عليها . وهي « الصدقة» حيث أنها تدفع البلاء عن المتصدق وتقيه العوارض والسوء وتطيل في العمر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (باكروا

بالصدقة فمن باكر بها لم يتخطاه البلاء) (١).

وعن معاذ بن مسلم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكروا الوجع فقال: داوا مرضاكم بالصدقة، وما على أحدكم أن يتصدق بقوت يومه إنّ ملك الموت يرفع إليه الصك بقبض روح العبد فيتصدق فيقال له: "ردّ عليه الصك"(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إنّ البلاء لا يتخطى الصدقة)(٣). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (الصدقة ترد القضاء الذي قد أبرم إبراماً) (٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (الصدقة تسلّ سبعين باباً من الشر(٥). وقال الإمام الباقر عليه السلام : (إن الصدقة لتدفع سبعين علة من بلايا الدنيا مع ميتة السوء، إن صاحبها لا يموت ميتة سوء أبداً) (٦). قال رسول الله

---

(١) عيون أخبار الرضا ٣/٦١.

(٢) ثواب الأعمال ١٣٩.

(٣) أمالي الشيخ المفيد ٤١.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٤/٢٦٦.

(٥) بحار الأنوار ٩٦/١٣٢.

(٦) بحار الأنوار ٩٦/١٣٥.

صلى الله عليه وآله وسلّم (الصدقة تدفع الداء والدبيلة(١) والغرق والحرق والهدم والجنون). فعدّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم سبعين باباً من الشر(٢).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: صليت مع علي بن الحسين عليهما السلام الفجر بالمدينة يوم الجمعة، فلما فرغ من صلاته وسبحته(٣) نهض إلى منزله وأنا معه فدعا مولاة له تسمى "سكينة" فقال لها: لا يعبر على بابي سائل إلاّ أطعمتموه، فإن اليوم يوم الجمعة.

قلت: ليس كل من سأل مستحقاً. قال: يا ثابت أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه ونرّده فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم أطعموهم. إنّ يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدق منه ويأكل هو وعياله منه، وأن سائلاً مؤمناً صواماً مستحقاً له عند الله منزلة وكان مجتازاً غريباً اعترّ على باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه: طاعمكم، يهتف بذلك على

---

(١) الدبيلة: داء يكون في الجوف ويسبب الهلاك.

(٢) النوادر/ ٤٩١.

(٣) سبحته تعقيبه الأعمال والأدعية التي يؤتى بها بعد الصلاة.

بابه مراراً وهم يسمعونه وقد جهلوا حقه، ولو يصدقوا قولـه، فلما يئس أن يطعموه، وغشيه الليل اسـترجع واسـتعبر وشـكا جوعه إلى الله عز وجل، وبات طاوياً وأصبـح صائمـاً جائعـاً صابراً حامداً لله، وبات آل يعقوب شـبـاعاً بطانـاً، واصبحـوا وعندهم فضلة طعامهم، فأوحى الله عـز وجـل إلى يعقـوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت يا يعقوب عبدي ذلة استجررت بها غضبي، واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبتي وبـلاي عليـك وعلى ولدك، يا يعقوب إن أحب أنبيـائي إلي، وأكرمهـم علـيّ من رحم مساكين عبادي وقربهـم إليـه وأطعمهـم، وكـان لهـم مأوى وملجاً، يا يعقوب أمـا رحمـت ذميـال عبـدي المجتهـد في عبادتي، القانع باليسير مـن ظـاهر الدنيـا عشـاء أمـس لما اعـترّ ببابك عند أوان إفطاره، وهتف بكم: أطعمـوا السـائل الغريـب المجتاز القانع فلم تطعموه شيئاً، فاسترجع واستعبر وشكا مـا بـه إليّ، وبـات طاويـاً حـامداً لي، وأصبـح لي صائمـاً، وأنـت يـا يعقوب وولدك شباع، واصبحت عندكم فضلة مـن طعـامكم، أو ما علمت يا يعقوب أن العقوبة والبلـوى إلى أوليـائي أسـرع منها إلى أعدائي، وذلك حسن النظر مني لأوليـائي، واسـتدراج مـني لأعدائـي، أمـا وعزتـي لأنـزل عليـك بلـواي، ولأجعلنـك

وولدك عرضاً لمصابي ولأذينك يا يعقوب فاستعذوا لبلواي، وارضوا بقضائي، واصبروا للمصائب.

إذاً نحن مأمورون بالصبر إذا حلّ البلاء بوادينا. وأن يستعد الجميع وفي كل يوم ولحظة بأن يرتدي جلباب الصبر بحلته الجميلة والأنيقة متوكلاً على الله تبارك وتعالى، قال ثابت: فقلت لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال: في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعاً وبات ذميال طاوياً جائعاً (١).

(١) علل الشرائع: ٤٦.

وابيضت عيناه من الحزن

يصوّر القرآن الكريم مدى حزن يعقوب عليه السلام على ولده ﴿وَابْيَضَّتْ عَينَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف/٨٤). فهو عليه السلام مع كظمه لحزنه ذهب بصره، واحدودب ظهره، ونحن نرى أنّ حزن يعقوب عليه السلام بلغ أقصاه، بل تجاوز الحد، فقد شاهدنا من أصيب بولده، بل بجميع أولاده ولا يكون منه بعض هذا الحزن، فكيف نبي الله؟

نعم ليست المشكلة فيما أحسب هو فقد يوسف عليه السلام وإن عظم، بل إنّ المصيبة العظمى كانت في بقية أولاده، فقد كان يأمل فيهم الوراثة لمقام النبوة العظيم، ويصدر منهم هذا العمل القبيح فكيف بسائر الناس؟

ألا تسمعه يقول لهم رداً على كذبهم في ادعائهم أنّ الذئب أكله ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ﴾ (يوسف/١٨).

إنّ أشد الأمور على المصلحين هو ردّة المجتمع وانتكاسته الدينية، فهم لا يبالون بجميع المصائب التي يلاقوها إذا سلم لمجتمعهم دينه وعقيدته. لقد وصفوا نبينا صلى الله عليه وآله وسلّم بالحلم والخلق الرفيع، حتى الجليل جلّ جلاله وصفه بذلك ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/٤). ولكنه صلى الله عليه وآله وسلّم كان يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه(١).

فمصيبة يعقوب عليه السلام كانت في بقية أولاده أشد من مصيبته بيوسف عليه السلام ففي أول لقاء ليوسف عليه السلام مع أخوته إذ عرفهم وهم له منكرون فسألهم فقالوا: نحن أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال: ولدكم إذاً ثلاثة أنبياء وما أنتم بحلماء، ولا فيكم وقار ولا خشوع فلعلكم جواسيس لبعض الملوك جئتم إلى بلادي؟ فقالوا: أيها الملك لسنا بجواسيس ولا أصحاب حرب، ولو تعلم بأبينا إذاً لكرمنا عليك، فإنه نبي الله وابن أنبيائه وإنّه لمحزون. قال لهم يوسف: فما حزنه وهو نبي الله وابن أنبيائه، والجنة مأواه

---

(١) كحل البصر في سيرة سيدة البشر ٩٣، الشيخ عباس القمي.

وهو ينظر إليكم في مثل عددكم وقوتكم، فلعل حزنه إنّما هو من قبل سفهكم وجهلكم(١).

احرص يا أخي على أن لا تحزن نبيك صلى الله عليه وآله وسلّم بأعمالك السيئة، فقد ورد أن أعمال الأمة تعرض عليه صلى الله عليه وآله وسلّم فهو يفرح إذا رأى أعمالاً حسنة، ويحزن إن رآها سيئة.

(١) قصص الأنبياء: ٢٠٠. نعمة الله الجزائري.

لا تيأسوا من روح الله

وحسب أخوة يوسف عليه السلام أن الأمر قد انتهى، فيوسف قد طرح في غيابت الجب في أرض قفر لا تمر عليها القوافل المختارين، وأخوه أخذه الملك بتهمة السرقة فهو بحكم المنتهي وقد أيسوا عن الإفراج عنه ولو بأخذ أحدهم لأن ضميرهم لا يزال يؤنبهم في موضوع يوسف عليه السلام بعدما شاهدوا الذي أصاب أباهم عليه السلام من مضض المصيبة، ولو يدر في خلدهم أن الأمر يبلغ منه هذا المبلغ حتى قالوا له: ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾ (يوسف/٨٥).

وفي الوقت نفسه كان نبي الله يعقوب عليه السلام كله أمل ورجاء في ردّ ولديه عليه، فيأمرهم ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا**

يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف/٨٧).

واستجابة لأمر أبيهم عليه السلام قصدوا مصراً ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يآ أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف/٨٨). وبعد العتاب معهم قال: ﴿ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذآ أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف/٩٠).

الدعاء يرد القضاء

والدعاء أحب الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام (١). وهو الذي يدفع البلاء النازل وما لم ينزل كما يقول الإمام على بن الحسين عليه السلام (٢) وهو الذي يدفع القضاء بعدما أبرم إبرماً ، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام (٣).

لهذا وغيره أكثر الأئمة عليهم السلام من الأدعية، ففي تراثنا الإسلامي الكثير الوافر من الأدعية، وهي بالمستوى الرفيع من البلاغة والبيان الرائع، مضافاً لما حوته من آداب الداعي واللهجة التي يجب أن يخاطب بها العبد مولاه. وحسبنا

---

(١) أصول الكافي ٣٩٢.

(٢) أصول الكافي ٣٩٣.

(٣) أصول الكافي ٣٩٣.

الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام فهي من نفائس الدنيا، فقد ضمت من المعارف والأخلاق والآداب والتعاليم ما لا يوجد إلاّ في حديث سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلّم وعترته الطاهرة سلام الله عليهم أجمعين.

نذكر في هذه الصفحات بعض ما ورد عن تلك الصفحات المشرقة سلام الله عليهم عن الصادقين. في أدعية نبي الله يعقوب عليه السلام عند المحنة:

١- من دعاء له عليه السلام: يا حسن الصحبة، يا كريم المعونة، يا خير الكلمة، ايتني بروح وفرج من عندك، فهبط عليه جبرئيل فقال ليعقوب: ألا أعلمك بدعوات يردّ الله بها ابنك وبصرك، ويرد عليك ابنيك؟ فقال: بلى. فقال قل: يا من لا يعلم أحد كيف هو وحيث هو وقدرته إلا هو، يا من سدّ الهواء بالسماء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، ايتني بروح منك وفرج من عندك، فما انفجر عمود الصبح حتى أتي بالقميص فطرح على وجهه فردّ الله عليه بصره، وردّ عليه ولده(١)..

٢- هبط جبرئيل على يعقوب فقال: يا يعقوب ألا أعلمك

---

(١) البرهان في تفسير القرآن ٢/٢٦٧.

دعاء يرد الله عليك به بصرك، ويرد عليك ابنيك؟ قال: بلى. قال: قل: ما قاله أبوك آدم فتاب الله عليه، وما قاله نوح فاستوت به سفينته على الجودي ونجا من الغرق، وما قاله أبوك إبراهيم خليل الرحمن حين ألقي في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً. فقال: وما ذاك يا جبرئيل؟ فقال: قل يا رب اسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ان تأتيني بيوسف وابن يامين جميعاً، وترد عليّ عيني، فما استتم يعقوب عليه السلام هذا الدعاء حتى جاء البشير فألقى قميص يوسف عليه فارتد بصيراً فقال لهم: ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ اِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ (يوسف/٩٦) (١).

(١) أمالي الشيخ المفيد ٢٠٨.

الانقطاع إلى اللـه تعالى

وأنت يا أخي لو عرفت فقيراً يدور في البلد مستجدياً، ويمرّ بك أيضاً فيمن يمرّ به من خلق الله فأنت لا توليه اهتمامك، وقد لا تعطيه أو تعطيه اليسير لأنك تعتبره مستكفياً من غيرك، أمّا لو علمت بفقير يكتم فقره ولا يعلم به أحد غيرك فيمكن أن لا تدخر دونه شيئاً مما عندك.

والله سبحانه وتعالى يريد منا الانقطاع إليه، والتوجه بحوائجنا وطلبها منه، وأن لا يكون لنا مطمعاً عند غيره، واعلم أن الانقطاع إلى الله تعالى والاستغناء عن الناس يكسبنا أيضاً عزاً واحتراماً، والحكمة: (استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره) .

وهناك مرتبة أعلى من هذه أن يكون خوفنا منه تعالى فقط، وأملنا به وحده، ورجاؤنا منحصر به جل شأنه دون

الخلق، إذا حصل لنا هـذا نكـون قـد أهّلنـا أنفسـنا لاسـتجابة الدعاء، ولقضاء كل حاجة منه جلّ جلاله، ومن عجيب قصة يوسف عليه السلام أن أباه عليه السلام لم يعلم به طيلـة المـدة رغم قرب المسافة، وحتى بعد أن أصبـح أمـيراً، وحتـى عاتبـه أبوه بعد اجتماعهمـا فقـال: يـا بـني مـا أعقّـك، عنـدك هـذه المقدرة العظيمة، و لم تكتـب إليّ عـن حـالك علـى بعـد ثمـاني مراح؟ قال: إنّما نهاني عن ذلك جبرائيل عليه السلام قال: لِمَ لم تسأله عن سبب ذلك؟ قال: أنت أبسط إليـه مـني فاسـأله. ولما نزل جبرائيل سأله يعقوب عليه السلام عـن السـبب فقـال جبرائيل: إن الله تعالى أمرنـي بذلـك لقولـك: ﴿ **وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ** ﴾ (يوسف/١٣) فهلا خفته وأمّلت فيه؟.

الوصية الخالدة

يقول سبحانه وتعالي في كتابه العزيز: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وإِلَهَ ءَابآئِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة/١٣٣).

وهذه أهم الدروس التي نستلهمها من القرآن الكريم. حيث أن القرآن ما غادر صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أحصاها، ومنها التربية.

فكان يعقوب حريص أشد الحرص وهو على وشك الرحيل من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، بأن يطمئن على أولاده من الناحية التربوية فعرض عليه هذا السؤال ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ (البقرة/١٣٣)؟ فما سمع كلامهم استيقن أنه سيرحل هذه الرحلة العالمية وهو قرير العين بأنه

سيخلف وراءه خلفاً صالحاً يكـون سـبباً لسـعاده الإنسـان في الأرض.

فأخذهم بالالتزام بالآداب، فالوالد كما هو مسؤول عن تهيئة الطعام واللباس لأولاده فكذلـك هـو مسـؤول عـن توجيههـم الوجهـة الصحيحـة وتعليمهـم الأمـور الدينيـة، ودعوتهـم إلى سلوك طريق الاستقامة.

ولو ألقينا نظرة فاحصة ودقيقة إلى وصايا عليهم السـلام لأبنائهم نعرف أهمية ذلك، فقد يكـون الولـد أيضـاً إمامـاً كما حصل للإمام الحسين عليـه السـلام فهـو أرفـع مـن أن يكبو أن يتجنب طريـق السلامة، لكنهم صلوات الله عليهم يعلمونـا مسؤولية الآباء في توجيه أبنائهم، ووجـوب ذلـك عليهـم.

وهذا يعقوب عليه السلام وهـو في سـاعة احتضـاره وهـي شديدة مذهلة لا تسمح لمن يعانيها أن يفكـر في غيرهـا، لكـن نـبي الله لا تفوتـه الفرصـة في أن يوصـي بنيـه بـالتوحيد، وأن يكونوا عند حسن ظنه بهم.

لقـد صدقـوا مـع أبيهـم فمـاتوا جميعـاً رحمهـم الله علـى التوحيد، وحتى ذنبهم بالنسبة مع أخيهم يوسف عليه السـلام

فقد كان منهم في حال الصغر ونزلت توبتهم في حياة أبيهم عليه السلام.

وقد كرّمهم الله سبحانه وتعالى فأخرج من أصلابهم أنبياء، وحتى كليم الله موسى بن عمران عليه السلام هو حفيد أحدهم.

إياك واليأس

فينبغي أن نستفيد من هذه القصة الكريمة أنّ الإنسان مهما ساءت ظروفه وأوضاعه، واصابه ضيق وضنك وشدة أن لا ييأس من روح الله تعالى ومن الفرج، فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يفرّج عنه، لا سيما عند الانقطاع إليه، والتوسل به. يقول الشاعر:

فلربَّ نازلة يضيق بها الفتى

ذرعاً وعند الله منها مخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها

فُرجت وكنتُ أظنها لا تفرج

وعلى سبيل المثال نذكر هذه القصة: نقل أحد المشاهدين عن رجل كان يسكن جبل حائل(١): أن شخصاً حُكم عليه

---

(١) هو جبل أجار وسلمى.

بالإعدام، وكانت عادتهم أن يوقفوا المحكوم عليه أمام المسجد في يوم الجمعة، وبعد الانتهاء من صلاة الجمعة، يخرج الأمير من المسجد فتضرب عنق المحكوم عليه. وخرج الأمير في ذاك اليوم من المسجد والسيّاف قد شهر سيفه ينتظر وصول الأمير إلى الشارع، ولكن حدث شيء آخر، هو أن ابن عم الأمير وكان يمشي إلى جنبه أخرج خنجراً وطعن به الأمير، وخرّ في الحال ميتاً وانهزم الناس بما فيهم المحكوم عليه بالقتل إلى غير رجعة ولعل هناك قصص أغرب من هذه وأعجب.

فإن الله سبحانه وتعالى يأتي بالفرج من حيث يحتسب الإنسان أو لا يحتسب، فينبغي للعبد أن يتوكل في أموره على الله تعالى والتوسل به وحده في حل مشكلاته كبيرها وصغيرها، ويستيقن بأن الله تعالى على كل شيء قدير.

ومما ينقل أيضاً بأن هناك عالم من العلماء حُكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت. ففي لحظات حياته الأخيرة جاءَ الجلاوزة الجلادون وقالوا له: وأنت تريد الرحيل والموت ماذا توصينا نقوم به؟ وكان من عادتهم ينفذون ما يسمعوه من المحكوم عليه. فقال رجائي أن تنقلوني من هذه الخشبة إلى تلك الخشبة وأشار إليها وكانت خشبة رقم ٣٠ بينما كان

هو على الخشبة رقم ١ مثلاً فبينما ينقلونه من المحـل الأول إلى المحل الثاني وهو في وسـط الطريـق وإذا الجميـع يسـمعون نبـأ موت الملك. فقال المسؤول عـن الإعدامـات أوقفـوا عمليـات الإعدام. ففرج عن ذلك العالم.

وهكذا حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حيث قال: ما بين كل رمشـة عـين يفتـح الله ألـف ألـف بـابٍ مـن الفرج. وقال علي عليه السلام:

إنما الدنيا عواري والعواري مسترده

شـدةٌ بعد رخـاء ورخاءٌ بعد شـدة

واعلم أن الفرج يأتي غالباً عنـد منتهـى الشـدة، وجـاء في سيرة الإمام الصادق عليه السلام: أن إمـرأة شـكت لـه حبـس ولدها، فأمرها عليه السلام بالصبر، وجاءت بعد فـترة شـاكية أيضاً فأمرها عليه السلام بالصبر ، ثم جاءته في الثالثة : فأمرها بالصبر ، فقالت: لم يبق للصبر مجـال. فقـال: اذهـبي فسـوف تجدينـه في البيت. واستغرب بعض الأصحاب كلامه عليه السلام وسـأله عن السر. فقال: إذا بلغت الحـال بـالعبد إلى هـذا الحـد فـالله سبحانه وتعالى يأذن بـالفرج. وفعـلاً رجعـت المـرأة فوجـدت ابنها في البيت.

وهناك شيء آخر فنحن مأمورون من قبل الله تعالى بالدعاء لا سيما عند الشدّة ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾ (النمل/٦٢).

وعن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام تعرفون طول البلاءَ من قصره؟ قلنا: لا قال: إذا ألهمتم أو أُلهم أحد بالدعاء فليعلم أنّ البلاء قصير(١).

---

(١) فلاح السائل: ٣٥.

صبر المرأة عند فقد ولدها

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ العلاقات الأسرية التي تقوم على أساس الحب والوداد ما بين أفراد العائلة، هي العلاقة الرصينة والعلاقة الناجحة. فلا ضمور فيها ولا كدر ولا اضمحلال إنما تبقى متينة كلما مرّ عليها الزمن.

وهذه العلاقات تتراوح ما بين أفراد الأسرة. وعلاقة الأم بولدها فالطفل يرتبط بأمه أكثر من جميع أفراد الأسرة. وعلاقة الأم بولدها كعلاقة الولد بأمه تماماً. فهي علاقة شعورية نابعة من أعماق الفطرة السليمة، والفطرة هنا هي الحاجة الملحة التي تندفع نحو الهواجز اللاإرادية بين الأم والولد وبالعكس كذلك. فهي فطرة ا لله التي فطر الناس عليها.

فكان العجب كل العجب صبر الأم عند افتقاد ولدها، لأن الولد جزء لا يتجزء من أمِه تتأوه لكل آهةٍ يتأوه بها،

فهو الشريان لوجودها وهو صمام أمانها. يتجه قلبها أين ما اتجه ولدها، فإذا انكفأ انكفأت وإذا تألّم تألمت وهكذا، يقول أبو القاسم الشابي وهو يعرب عن هذه العلاقة ووثاقتها بين الأم وولدها وقلبها الحاني عليه:

أغرّ امرأً غلاماً جاهلاً

بنقوده كي ما ينال به الوطر

قال ائتني بفؤاد أمّك يا فتى

ولك الجواهر والدراهم والدرر

فمضى وأغرس خِنجراً في صدرها

والقلب أخرجَهُ وعاد على الأثر

لكن من فرط سرعته هوى

فتدحرج القلب المعفر إذْ عثر

ناداه قلب الأم وهو معفرّ

ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر؟

فهذه علاقة لا شعورية فهي تضحّي بكل شيء من أجل ولدها، من هنا كان العجب كل العجب لبعض النساء في التأريخ حينما تسمع أو تشاهد مصرع ولدها ومع ذلك لا

تبالي بل تصبر وتكون سبباً لصبر زوجها، بإخفائها آثار المصيبة.

ومما ينقل في صبر بعض النساء عند موت أولادهن، قال معاوية بن قرة كان أبو طلحة يحبّ ابنه حباً شديداً فمرض فخافت أمّ سليم على أبي طلحة الجزع حين قرب موت الولد فبعثه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فلما خرج أبو طلحة من داره توفّي الولد فسجته أمّ سليم بثوب وعزلته في ناحية من البيت ثم تقدّمت إلى أهل بيتها وقالت لهم: لا تخبروا أبا طلحة بشيء ثم إنّها صنعت طعاماً ثمّ مسّت شيئاً من الطيب وتصنعت له أكثر مما كانت تتصنّع له من قبل ذلك فجاء أبو طلحة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: ما فعل ابني فقالت له: هدأت نفسه، وأرادت بذلك كناية عن الموت ثم قال: هل لنا ما نأكل؟ فقامت فقربت إليه الطعام ثم تعرّضت له فوقع عليها فلما اطمأن قالت له: يا أبا طلحة أتغضب من وديعة كانت عندنا فرددناها إلى أهلها؟ قال: سبحان الله لا، فقالت: ابنك كان عندنا وديعة فقبضه الله تعالى قال أبو طلحة: فأنا أحق منك بالصبر ثم قام من مكانه فاغتسل وصلّى ركعتين ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلّم فأخبره بصنعتها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: بارك الله لكما في وقعتكما.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صابرة بني إسرائيل فقيل يا رسول الله: ما كان خبرها؟ فقال: كانت في بني إسرائيل امرأة وكان لها زوج ولها منه غلامان فأمرها بطعام ليدعو عليه الناس ففعلت واجتمع الناس في داره وانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كان في الدار فكرهت أن تنغص على زوجها الضيافة وأدخلتهما البيت وسجتهما بثوب فلمّا فروغوا دخل زوجها فقال: أين ابناي؟ قالت: هما في البيت فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان فقالت المرأة: سبحان الله والله لقد كانا ميّتين ولكن الله أحياهما ثواباً لصبري.

أقول: فالصبر مفتاح الفرج وكما ورد في الأثر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلّم: (من صبر فقد ظفر). وقيل أنه ولد لأبي طلحة وأم سليم من تلك الواقعة ابن سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعبد الله قال رجل من قريش: رأيت تسعة أولاد من عبد الله كلّهم قارؤون للقرآن.

ونقل نظير ذلك عن امرأة من الأنصار قال أنس بن مالك:

دخلنا على رجل مريض من الأنصار فمات الرجل ومددنا عليه ثوباً وكان له أم عجوز كبيرة وهي جالسة عند رأسه فقلنا لها اطلبي من الله الأجر والثواب على مصيبتك قالت:. ما ابني؟ قلنا بلى قالت: اسلمت لك وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تعينني عند كل شدّة ورخاء فلا تحمل عليّ هذه المصيبة اليوم فرفع الولد الثوب عن وجهه فما فارقنا المكان حتى أكلنا معه الطعام، قال في مسكن الفؤاد بعد نقل هذه القصّة وهذا الدعاء من المرأة إدلال على الله واستيناس به يقع على المحبين كثيراً فيقبل دعاؤهم وإن كان في التذكير بنحو ذلك ما يقع قلة الأدب لو وقع من غيرهم(١).

---

(١) لئالئ الأخبار، ج١، ٣٠٤.

في صبر امرأة من النساء

في صبر جملة أخرى من النساء اللاّتي تتعجب النفس منهم قال أبان ابن تغلب: دخلت على امـرأة وقـد نـزل علـى ابنهـا الموت فقامت إليه فغمضته وسجته ثم قالت: يا بنيّ ما الجـزع فيما لا يزول؟ والبكاء فيما يزول غـداً يـا بـني تـذوق مـا ذاق أبوك وستذوقه من بعدك أمك وإن أعظم الراحـة لهـذا الجسـد النوم والنوم أخ الموت فما عليك إن كنت نائماً على فراشـك أو على غيره وإن غداً السؤال والجنة والنار فإن كنت من أهل الجنّة فما ضرّك الموت وإن كنت مـن أهـل النـار فمـا تنفعـك الحياة، ولو كنـت أطـول النـاس عمـراً وا لله يـا بـني لـو لا أن الموت اشرف الأشياء لابن آدم لما أمات ا لله نبيّه وأبقى عـدوّه إبليس.

امرأة ما صبرت مثلها أحد قط

قال ذو النّون المصري: كنت في الطواف فإذا أنـا بجـاريتين قد أقبلتا وأنشأت إحديهما تقول شعراً:

صبرت وكان الصبر خير مغبة
وهل جزع مني بمجدي فاجــزع
صبرت على ما لو تحمّل بعضه
جبال برضوى أصبحت تتصــدّع
ملكت دموع العين ثم رددتها
إلى ناظري والعين في القلب تدع

فقلت ممن هــذا يـا جاريـة؟ فقـالت: مـن مصيبـة نـالتني لم تصب أحد قطّ قلت: وما هي؟ قالت: كان لي شبلان يلعبـان أمامي وكان ابوهما ضحّى بكبشين فقال: احدهما لأخيــه يـا

أخي أريك كيف ضحى أبوك بكبشه فقام وأخذ شفرة فنحره وهرب القاتل فدخل أبوهما فقلت إن ابنك قتل أخاه وهــرب فخرج في طلبه فوجده قد افترسه السبع فرجع الأب فمات في الطريق عطشاً وجوعــاً. وروى بعـض هـذه القصـة وزاد فيهـا قال: رأيت امرأة حسناء ليس بها شيء من الحزن وقال: وا لله ما أعلم أحداً أصيب بما أصبت به وأوردت القصّة وقلـت لهـا كيف أنتِ والجزع فقالت: لو رأيت فيه دركاً ما اخترت عليه شيئاً ولو دام لدامت له (١).

---

(١) لئالئ الأ خبار، ١، ص٣٠٥.

في قصة صبر امرأة جابر

إن في قصة جابر بن عبد الله الأنصاري، وامرأته عجب العجاب وهي واحدة من معاجز النبي صلى الله عليه وآله وسلّم.

إن جابر بن عبد الله الأنصاري لما أضاف النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وأصحابه يوم الخندق كان له كبش ذبحه لهم، وكان له ابنان كان أصغرهما حين ذبحه غائباً فلما جاء ولم يرى الكبش سئل أخاه عنه قال: ذبحه أبوك لضيافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال كيف ذبحه؟ قال جئ حتى أبين لك فأخذ بيده وأذهبه إلى السطح الذي ذبح أبوه الكبش فيه فشدّ يديه ورجليه وقال له: هكذا ذبحه وقطع رأسه فلما جرى الدم خاف خوفاً شديداً وأراد الفرار لئلا تره أمه على ذلك فشرع فيه فسقط من السطح العالي في المعبر وكانت الأم

حينئذٍ مشغولة بطبخ الخبز فسمعت صوتاً فخرجت لأن ترى ما هو وما وقع فرأت الدم يجري من الميزاب فتأوّهت وعدت إلى السطح فرأت ابنها الصغير قد قطع رأسه فذهبت إلى طرف السطح لأن تفحص عن ابنها الكبير فرأته قد سقط ومات فنزلت من السطح واستمدت من جاريتها وقالت: قد وقعت وقعة عظيمة يجب أن تسترها فسارعت إلى النعشين وأدخلتهما البيت وأخفتهما واشتغلت بأمرها فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مع سبعمائة نفر من أهل المدينة وأرادوا الطعام نزل جبرئيل وقال: يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول لا تأكل حتى يحضر عليك ابنا جابر فقال لجابر: أمرني الله أن لا نأكل حتى يحضر ابناك على الطعام أحضرهما فسأل جابر زوجته عنهما فقالت: خرجا من البيت فخرج وتفحص عنهما كثيراً فلم يجدهما فرجع وقال له بالغت في طلبهما فلم أجدهما فنزل جبرئيل وأخبره بالقصّة وصبر أمهما.

وقال له صلى الله عليه وآله وسلّم أبشرها بالجنة وقل أن يحضروهما وادع الله أن يحييهما حتى يشاركاكم في أكل الطعام فأمر النبي جابر فأحضرهما ودعا صلى الله عليه وآله

وسلّم وأمّن أمير المؤمنين عليه السلام فصارا حيّين واشتغلا بأكل الطعام معهم.

بعد قراءة هذه القصة العجيبة لا أتصور على أهل العقول رفضها أو الشك بها. فإن الله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون حيث قال في حديثه القدسي: (عبدي أطعني تكن مثلي أو مَثَلي أقول للشيء كن فيكون تقولُ للشيء كن فيكون). هذا إذا كان عبد من سائر الناس فما بالنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

فرسول الله أحق من جميع الخلق على الله. فإذا قال الله للعقل بك أثيب وبك أعاقب فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم هو العقل الأول ومن أجله خلق الله الكون والأفلاك، (يا محمد لولاك لما خلقت الأفلاك)، فأقل ما يقال في هذه القصة أنها من أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الله نجى وأحيا واسرّ وهو على كل شيء قدير.

قصة صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلّم

منذ بعثته صلى الله عليه وآله وحتى رحلته إلى عالم الملكوت ثلاث وعشرون سنة التي لم يذق فيها طعم الراحة، بل لم يذق فيها سوى طعم العذاب والهوان والبلاء.

أهانوه فصبر.

اتهموه فصبر.

عذّبوه فصبر.

أخرجوه من داره فصبر.

وكلما أمعنوا في إيذائه وإيذاء أصحابه وأنصاره، كلما أمعن في الصبر والحلم والاستقامة، حتى أنه صلى الله عليه وآله كان يقول: (ما أوذي أحد مثل ما أُذيت في الله)(١).

---

(١) كنز العمال: خ٥٨١٨.

ذلك رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الذي قضى ثلاثاً وعشرين سنة بعد البعثة يدعو إلى الله سبحانه وتعالى دون كلل أو تعب أو ملل، كان يحتمل الأذى والبلاء بل العذاب من قومه في جلد وصبر. لقد صبر صلى الله عليه وآله على ما نسبوه إليه من الاتهامات الباطلة، رغم أنهم كانوا يعرفونه جيداً ويعرفون أنه صلى الله عليه وآله كان حسن الأخلاق وكان الصادق الأمين، رغم ذلك فقد كانوا يتهمونه وينسبون إليه الكذب والجنون، والشعوذة، والكهانة، والشعر والسحر.

إن مجرد أن يتصور أي امرء أنه مكان الرسول صلى الله عليه وآله وأن هذه الاتهامات الباطلة قد صُبّت عليه صباً من كل حدب وصوب، حينها هل يستحمل -أي كان- هذه الاتهامات؟ أم أنه مجرد تصوره لها وتخيله إياها تصيبه بقشعريرة في بدنه؟ فكيف ما قاساه صلى الله عليه وآله وسلّم؟

لقد سجّل القرآن الكريم اتهامات الكفار الباطلة للرسول صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: ﴿ **بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ** ﴾ (الانبياء/٥).

وجاء في آية أخرى: ﴿ **وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** ﴾ (الصافات/٣٦). وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾ (الطور/٣٠). وقد ردّ ربنا عزّ وجلّ هذه الاتهامات في آيات أخرى حيث قال: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ (الحاقة/٤١-٤٢).

وفي آية أخرى يقول: ﴿ **فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ**﴾ (الطور/٢٩) وقال تعالى: ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ**﴾ (القلم/١-٣).

ومع كل هذه الاتهامات من كفار قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أنه لم يتراجع عن إبلاغ رسالته قيد أنملة فتحمل أذاهم وصبر صبراً جميلاً. أفلا يكون صبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وثباته واستقامته دليلاً على صدقه وصدق دعوته؟

إنه صلى الله عليه وآله وسلّم كان صادقاً بلا شك ولا تردد ولو لا ذلك لما استطاع أن يقاوم ويصبر وبتحمل الأذى. إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لو كان من

أولئك الذين يفتشون عن الجاه أو المال أو السلطان لما احتمل الأذى وقاوم وصبر، إذ أنه كان بمقدوره أن يحصل على كل ما يريد من الدنيا.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فند هذا الزعم، فلم يكن من طلاب الدنيا. فأعداؤه عرضوا عليه كل شيء، المال الجاه والسلطان فرفض رفضاً قاطعاً وقال كلمته المشهورة: (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أموت دونه).

كان صلى الله عليه وآله وسلّم يحمل على أكتافه رسالة الله عزّ وجلّ للعالمين، وكان صلى الله عليه وآله وسلّم أميناً في إبلاغها، وفياً في نشرها، ولذا لو أنهم ملّكوه العالم بما فيه لما تراجع عن رسالته وعن تبليغها.

إن الصبر عنصر هام من عناصر الانتصار وعامل ضروري من عوامل النجاح ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يعرف هذه الحقيقة جيداً، خاصة وأنه ما أراد الانتصار أو النجاح لشخصه بل أراد ذلك للدين وللرسالة، فلو لم يصبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم ويتحمل الأذى ويقاوم ويواصل المسيرة فهل سينتصر وتنتصر رسالته؟ ولو لا صبره

صلى الله عليه وآله وسلّم هل سيدخل الناس في دين الله أفواجاً؟ ومن هنا كان صلى الله عليه وآله وسلّم يؤكد هذه الحقيقة قائلاً: (إن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسراً) (١).

إن من يبحث عن الانتصار ويريد النجاح لابدّ له أن يصبر ويتحمل ويقاوم ويصبر في الطريق الشائك، وإلا فإنه لن يحصد إلا الهواء. فالحياة الدنيا تغمرها المشاكل والصعاب والتحديات، فكيف السبيل إلى حلها أو التكيف معها؟

ثم إن الحياة لا يمكن أن تخلوا من المشاكل أبداً، وليس أمام الإنسان مع المشاكل والصعاب إلا الصبر إن عجز عن حلها.

إذا لم يصبر الإنسان أمام المشاكل، فما الذي سيفعله؟ هل سيجزع أمامها؟

إن الجزع لن يحل أية مشكلة سيجعل المشكلة اثنتين، الأولى هي المشكلة الأصلية التي لم تحل، والأخرى هي المشكلة النفسية الطارئة بعد الجزع وانعدام الصبر.

ولذا ليس أفضل من سلوك طريق الصبر كعون على حل الخطوب والمشاكل. ومن أجل ذلك قال رسول الله صلى الله

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٨٨.

عليه وآله وسلّم: (الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب) (١)، فمن يعرف حقيقة الابتلاء في الدنيا سيصبر ويتحمل، ولكن من لا يعرف حقيقة الابتلاء لن يكون نصيبه إلا الجزع.

من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (من يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرفه ينكره) (٢). إن الحياة بصعابها وعقباتها بحر متلاطم الأمواج، فمن يأخذ بيد الإنسان فيها إلى شاطئ الأمان؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قد دلّنا على السفينة التي ترسو بنا على شاطئ الأمان حينما قال: (الصبر خير مركب، ما رزق الله عبداً خيراً له ولا أوسع من الصبر) (٣).

وكيف لا يكون كذلك وفي الصبر والصمود والثبات الطريق إلى الخير الكثير؟ فالخير الكثير لا ينال إلاّ بالصبر؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (في الصبر على ما نكره خيرٌ كثير) (٤).

---

(١) بحار الأنوار، ج٨، ص١٣٦.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٧، ص١١٥.

(٣) بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٣٩.

(٤) المصدر، ص١٣٧.

فوائد الصبر

فمن يمتلك صفة الصبر لن يكسل ولن يضجر ولن يتذمر، وبالتالي لن يضيع الحقوق والواجبات، وهذا ما يؤكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حينما يقول: (علامة الصابر في ثلاث: أولها: أن لا يضجر، والثانية: أن لا يشكو من برّه عزّ وجلّ، لأنه إذا كُسل فقد ضيّع الحق، وإذا ضجر لم يؤد الشكر، وإذا شكا من ربه عزّ وجلّ فقد عصاه) (١).

على ضوء ما تقدم نعرف جيداً أن صفة الصبر هي صفة هامة ورئيسية من صفات كل العظماء والناجحين، ولا يتسلق سلم النجاح سوى من يمتلك صفة الصبر والثبات.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧١، ص٨٦.

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: كيف تكسب صفة الصبر؟ وما دام الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الصبر، لنفتش عن الإجابة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كيف نكتسب صفة الصبر

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يعطينا الإجابة على هذا السؤال ويعلمنا من خلال الإجابة الطريقة المثلى لاكتساب صفة الصبر، حينما يقول: (من يتصبّر يصبّره الله)(١).

فالصبر كأية صفة من الصفات النفسية بحاجة إلى أن يتدرب الإنسان عليها، وذلك بأن يواجه المشاكل والمكاره في الحياة بشكل طبيعي ويحاول أن يقاومها ويصبر، وأن يحلها ويصبر، وهكذا يبذل المحاولات الجادة بمزيد من الصبر إلى أن يمتلك عبر هذه المحاولات صفة الصبر حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيته. وهكذا أراد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم لنا التعلم والتدرب على صفة الصبر.

---

(١) كنز العمال.

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كان القدوة في كل مكارم الأخلاق، وكذلك كان القدوة في الصبر على نوائب الزمان وصروف الأيام وعلى تبليغ الرسالة وتحمل الأذى والعناء في سبيل الله تبارك وتعالى.

فذات مرة كان صلى الله عليه وآله وسلّم يصلي إذ قدم أبو جهل فقال: ألا رجل يقدم إلى فرث جزور بني فلان، فيلقيه على محمد وهو ساجد؟

فقام عقبة بن أبي معيط، وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وهو ساجد، فلم يتمكن أحد من المسلمين حماية النبي صلى الله عليه وآله وسلّم لأنهم كانوا وقتئذٍ ضعافاً ولم تقوّ بعد شوكتهم، ولم يزل النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ساجداً حتى جاءت ابنته فاطمة عليها السلام فرمت الأقذار بعيداً عنه وفي مرة أخرى قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً قد أتى ما ترون من عيب آلهتكم، وتسفيه أحلامكم، وسب آبائكم، وإني أعاهد الله لأجلسن له بحجر فإذا سجد في صلاته شدخت بها رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فلما أصبح حمل حجراً ضخماً، وجلس ينتظر رسول الله (ص) وأقبل الرسول صلى الله عليه وآله

وسلّم إلى صلاته وقريش في ناديهم ينتظرون ما يفعل أبو جهل، فما سجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، أقبل أبو جهل نحوه بالحجر حتى إذا دنا منه ارتدّ مذعوراً متمقعاً، وألقى الحجر من يده، فقام إليه رجال من النادي يسألونه ما بك يا أبا جهل؟

قال: دنوت منه لأرضخ رأسه بالحجر، فعرض لي محل من الإبل ما رأيت مثله قط، وهمّ بي ليأكلني.

ويروي التأريخ -أيضاً- أن عقبة بن أبي مُعيط كان جاراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان يؤذيه كما كان يؤذيه جاره الآخر عمه أبو لهب وأمرأته أم جميل بن حرب بن أمية، وفي يوم من الأيام صنع عقبة وليمة ودعا لها كبراء قريش ودعا أيضاً الرسول، فقال صلى الله عليه وآله وسلّم لعقبة: والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله، فتشهد عقبة الشهادتين فبلغ ذلك أُبي بن خلف الجُمحي وكان صديقاً لعقبة، فقال يا عقبة، ما شيء بلغني عنك.

قال: لا شيء، دخل منزلي رجل شريف، فأبى أن يأكل طعامي حتى أشهد له، فأستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له، قال أبي: وجهي من وجهك حرام إن لقيت

محمداً ولم تطأ عنقه، وتبزق في وجهه، وتلطم عينه.

فلما رأى عقبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فعل به ذلك فوطأ عنقه وهو ساجد عند الكعبة، حتى كادت عيناه تبرزان.

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقاسي الأذى والبلاء والعناء ولكن لا يردّه إلاّ بالصبر والحلم والتحمل.

دعوة النبي إلى الإسلام

عن طارق المحاربي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسوق ذي المجاز فمرّ وعليه جبة له حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: (أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ورجل يتبعه بالحجارة وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه(١) وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب، قلت: من هذا؟ قالوا: غلام من بني عبد المطلب. قلت: فمن هذا الذي يتبعه ويرميه؟ قالوا: هذا عمه عبد العزّى وهو أبو لهب(٢).

وتتالى الأحداث ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعرض خلالها لأبشع أنواع الأذى والبلاء من قومه، فكم

---

(١) عصب موثق خلق الكعبين.

(٢) كنز العمال، خ٣٨، ص٣٥٥.

آذوه وأهانوه وكم صوّبوا نحوه سهام ألسنتهم الجارحة المهينة، إلاّ أنه لا يزيده ذلك إلاّ تحملاً وتجلداً وصبراً.

ويكفي أن تعرف بأن سهام الألسن الجارحة هي بمثابة ما يعرف اليوم بأجهزة الإعلام التي تشن عبر وسائلها المتنوعة ما تريد ضد من تريد. فلو قررت أجهزة الإعلام اليوم مثلاً أن توجه الاتهامات والدعايات عبر وسائلها الإعلامية ضد رجل ما لإسقاطه سياسياً أو اجتماعياً فهل سيتحمل وهل سيصبر كما كان النبي يتحمل ويصبر؟

مواجهة النبي بعد وفاة أبي طالب عليه السلام

حينما مات أبو طالب واشتدت قريش في إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلّم خرج إلى الطائف، فعمد إلى نفرٍ من ثقيف هم يومئذٍ سادتها، فجلس إليهم يدعوهم إلى الإسلام ويستنصرهم على من خالفوه من قومه، فقال له أحدهم: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال آخر: أنزعُ أستار الكعبة وأرميها إن كان الله قد أرسلك. وقال الثالث: والله لا أكلمُك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أُكلمك.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عندهم يائساً من ثقيف، وقال لهم: أما وقد فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني -ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف بأن قريشاً إن

علمت بهذا النبأ ازدادت جرأة عليه وعلى أصحابه-

وهكذا لم يستجب سادة ثقيف لرسول الله صلى الله عليه وآله بل إنهم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى ألجأوه إلى بستان، فاستظل بشجرة فيها.

ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملّكته أمري؟

إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلاّ بك)(١). فهل في الدنيا مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في صبره هذا؟

لقد كان صبره صلى الله عليه وآله وسلم صبراً في يقين وطمأنينة لا تراجع ولا تشكيك فيها أبداً، كان صلى الله عليه وآله وسلّم يستقبل أعظم المشاكل وأفدحها بروح الصبر

---

(١) سيرة ابن هشام، ج١، ص٦١.

فقد كان التأريخ يذكر أن قريشاً انتهـزت فرصـة مـوت عمـه أبي طالب الذي كان عضداً وحامياً لـه صلـى ا لله عليـه وآلـه وأيضاً انتهزت فرصة موت زوجته خديجـة الـتي كـانت تعينـه على مكاره الدهر وتحن عليه وذلك قبل الهجرة بثلاث سـنين، فأمعنت في الأذى فاعترضه سفيه من قريش فحثـا علـى رأسـه صلى ا لله عليه وآله وسلم التراب، فدخل صلى ا لله عليه وآلـه وسـلم بيتـه والـتراب علـى رأسـه، فقـامت إليـه إحـدى بناتـه فجعلت تغسله وهي تبكـي، والرسـول صلـى ا لله عليـه وآلـه وسلم يقول لها: لا تبك يا بنية، فإن ا لله مانعُ أباك(١).

إن صبر الرسول الأكرم صلـى ا لله عليـه وآلـه وسـلم هـو صبر الموقنين المؤمنين بنصـر ا لله سـبحانه وتعـالى، فهـو يصـبر ويتحمل الصعاب بوعي وفهم ويقين وقراءة للمستقبل واضحة ولذلك تراه صلى ا لله عليه وآله وسلّم يقول لابنته: (فـإن ا لله مانع أباك).

ونقل التأريخ أيضاً أنـه كـان نفـر مـن جـيران رسـول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم يؤذيه فيطـرح عليـه أحدهـم رحـم الشاة في قدره إذا نصبت له حتى اتخـذ رسـول ا لله صلـى ا لله

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، ص٨٥. البنت كانت فاطمة الزهراء عليها السلام

عليه وآله وسلم حِجراً يستتر به منهم إذا صلى، وكانٍ إذا ما طرحوا عليه الأذى يحمله على عود، فيقف به على بابه، ثم يقول: يا بني عبد مناف، أيُّ جوار هذا، ثم يلقيه في الطريق (١).

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، ص٥٧.

في يوم أحد

وفي يوم أُحد كسرت رباعيته صلى الله عليه وآله وسلم وشُج رأسه وجرحت شفته وسال الدم على وجهه، ورأى عمه الحمزة قتيلاً مبقور البطن، ومع ذلك تجده صابراً محتسباً في الله تعالى لم يجزع ولم يضعف. بل صبر صبراً جميلاً فكان يمسح دمه وهو يقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم)(١).

والرسول صلى الله عليه وآله وسلّم يفقد فلذات كبده قبل البعثة، القاسم وعبد الله، وبعد الهجرة يفقد بناته زينب وأم كلثوم ورقية بعد أن تزوجن فيصبر صلى الله عليه وآله وسلّم ويفقد ابنه إبراهيم ويجزع عليه إلاّ أنه يصبر ويقول: (إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا،

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٣، ص٨٤.

وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون). فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصبر ويحث أصحابه وأنصاره على الصبر.

يأتي إليه صلى الله عليه وآله وسلم بعض المسلمين وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة ، فيشكون إليه بعد أن لاقوا شتى أنواع الأذى والعذاب من قريش، فيقولون له: يا رسول الله ألا تدعو الله تستنصر لنا؟ فجلس محمراً لونه، ثم قال: (إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيُحفر له في الأرض حفيرة، ويُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيُجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه) (١).

هكذا كان صلى الله عليه وآله وسلّم يصبّرهم ويعلمهم الصبر فيقول: (الإيمان نصفان، فنصف في الصبر ونصف في الشكر) (٢). ويقول صلى الله عليه وآله وسلّم: (أفضل الإيمان الصبر والسماحة) (٣).

---

(١) من أخلاق النبي، ص١٦٧.

(٢) كنز العمال، ٦١.

(٣) ابن هشام، ج١، ص٧٤.

صبر علي أمير المؤمنين عليه السلام

قال عليه السلام: (صبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهباً) (١). بضعة كلمات رددتها الأجيال عبر العصور، حفظتها وحفرتها في عقلها وقلبها..

كانت تلك كلمات لإمام الكلام الإمام الهمام سيد الأنام عليٌّ أمير المؤمنين صلوات ا لله عليه.

كانت للكلمة دويها في الآفاق، لأنها من آفاقيات ليس لكلامه عليه السلام طائل كما هو الحال بالنسبة إلى الكلام الذي نسمعه ونقرأه عبر الأثير أو الصحف اليومية. فالصحف اليومية إن لم تكن صحيفة اليوم لا تقرأ لأن مضى عليها يوماً كاملاً، بينما كلام إمام الكلام يقرأ في كل يوم، وذلك عند قمة الأدباء والفصحاء والبلغاء، في عصرنا الحاضر وذلك لا

---

(١) الخطبة الشقيقية - نهج البلاغة.

من أجل شيء واحد وهو أن يتخذوا من كلامه قاموساً للغتهم الأدبية. وأن يكون كلامه عليه السلام النبع الصافي الذي يستخرجون منه لئالئ الكلام فكلامه كنز للكلمات، فكلما توغّل الأدباء في أتونه أحسّوا بارتياح يفوق الوصف.. وكلما أحسّوا بنقصٍ في التعبير لجئوا إلى نهجه الشريف، ليستعينوا به على قوتهم التعبيرية ليزيدوا أدبهم شرفاً يضاف إلى شرف بيانهم...

ومن خلال هذه الكلمة الغراء نفهم جيداً، بأن إمامنا عليه السلام كان يعاني من جراحات جسام ما دملت حتى قضى بأبي هو وأمي والسؤال الذي نطرحه هنا هو عن أي شيء صبر إمام المتقين صلوات الله عليه؟؟

والذي يبدو أن الإمام كان قلبه مليئ بالآلام والأحزان والحسرات والآهات والأشجان. حتى لفظ كلمته المخنوقة بالغصص المتكسرة بقلبه الكسير حيث قال: "صبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهباً".

الجواب عن ذلك باقتضاب هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يرحل أوصى وصاياه الكثيرة، ومن جملة ما أوصا به صلى الله عليه وآله وسلم التفت إلى علي

عليه السلام قال يا علي: إن الخلافة ستغصب أتصبر على ذلك وإني آمرك بالصبر؟ فقال علي عليه السلام إن أمرتني بذلك ستجدني إن شاء ا لله من الصابرين، ثم قال صلى ا لله عليه وآله لعلي: وإن فدكاً ستغصب من بضعتي أتصبر على ذلك وإني آمرك بذلك؟ فقال علي عليه السلام إن أمرتني ستجدني من الصابرين إن شاء ا لله، ثم قال صلى ا لله عليه وآله وسلم يا علي وبضعتي هذه ستلطم على وجهها أتصبر على ذلك وإني آمرك بالصبر؟؟

فشهق عليٌّ شهقة وبكى بكاءً عالياً وأبكى جميع من حضر في ذلك المجلس ، ثم انتحب الرسول باكياً وقال أتصبر؟ وإني آمرك بالصبر؟ فقال عليٌّ إن أمرتني ستجدني من الصابرين رسول ا لله.

وبعد مرافقة الإمام وامتثاله لأوامر رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم ما انطوت الأيام والليالي إلا وقد انتهزها عدو ا لله فرصة للنيل من علي والزهراء، فراح يفرغ حقده وحسده الذي طواه منذ مدة طويلة... وذلك يوم هجم على بيت الزهراء البتول عليها السلام وكان عليٌّ حاضراً وهو داخل البيت، حذره بعض من حضر تلك الواقعة الأليمة، قالوا

ويحك إن الحسن والحسين في الدار؟. قال وإن...

قالوا له إن فاطمة في الدار قال وإن...

وبعدها قالوا ويحك إن علياً في الدار، فقال إن الرجل لموصى...

ومن هذا نستنتج -ما يلي:

١- أن الناس قالوا أن الحسن والحسين في الدار، لأنّ عدو الله كان يعرف جيداً من هم الحسن والحسين، وكذلك الناس يعرفون تماماً من هم الحسن والحسين، وذلك من خلال تصريحات القائد العام ألا وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

هذان سيدا شباب أهل الجنة، الحسن ريحانتي من الجنة حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحبّ حسيناً.

أما تحذير الناس لعدو الله من وجود فاطمة في الدار فلأن فاطمة عليها السلام هي الأخرى كانت أحب الناس إلى قلب رسول الله، فهي بهجة قلب المصطفى.

وعندما قالوا ويحك إن فاطمة في الدار، لعلّه يستحي لوجودها في الدار؟

وأما التحذير الثالث فكان غير طبيعي وهو أن علياً في

الدار، وأرادوا بذلك إفهام السلطة الجائرة، بأن الذي في الدار هو ذلك الرجل الذي قلع باب خيبر.

ذلك الرجل الذي قتل مرحب، الذي في الدار هو ذلك البطل العظيم الذي كسر جيش الشرك وهزم عمرو بن العامري.

هو بطل الإسلام الخالد علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولكن ماذا كان الجواب؟؟؟

كان جواب عدو الله وبضرسٍ قاطع أنه لموصى أي أن علياً أمير المؤمنين قد أوصاه رسول الله بأن لا يحرك ساكناً إن هجم عليه أعداء الله، وأن السلطات الجائرة بقيادة عدوا الله يعرفون جيداً بأن علياً قد تعود ومنذ نعومة أظفاره إطاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم والامتثال لجميع أوامره فعليٌّ هو الممتثل دوماً والمطيع دوماً. وأما غيره فلا، إلا النذر القليل من أصحاب رسول الله. فكانت خير أمةٍ أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر... بخلاف أولئك الذين وصفهم القرآن بالانقلاب ونقض العهود والمواثيق التي تظاهروا بها أمام الملأ. حيث قال: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى**

أَعْقَابِكُم ﴾ (آل عمران/١٤٤). وهذه حقيقة كانوا يعرفونها جيداً.

ولذلك انبرا بالهجوم على بيت علي وفاطمة عليهما السلام وإلا فإن الرجل ما كان يمتلك تلك القابليات والقدرات حتى تأهله بالهجوم على بيت أسد الله وأسد رسوله.

ولو كان يمتلك تلك القابليات، لبانت يوم دعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويوم اجتمع الأحزاب في معركة الخندق، حيث هتف برفيع صوته من منكم يبرز إلى عمرو حتى أضمن إليه الجنة؟ وبالتالي لم يبرز غير ذلك الفتى ذاة الثمانية عشر سنة وانتصر على عدوه وعدو المسلمين، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث ما قال لغيره قط:

١- اللهم اشهد أنه برز الإيمان كله إلى الشرك كله.

٢- ولّما رجع منتصراً قال الرسول: ضربة علي يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين (١).

---

(١) منتهى الآمال - المحدث الشيخ عباس القمي.

ربع قرن جليس الدار

إن التأريخ ذكر لنا بأن الصفحات المشرقة من حياة الإمـام علي بن ابي طالب عليه السلام انطـوت بـالألم والأذى، كـان عليه السلام ربع قرن جليس بيتـه وذلـك بعدمـا غصبـت منـه الخلافة، طوى ذلك بكل صبر وثبات.

وفي أيام حكم الخلفاء الثلاثة كان حلاّلاً لمشاكلهم، وكـم من قائل منهم قال: ما من معضلة إلاَ وقد كان لها أبو الحسـن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وإن التأريخ دوّن كلمة الخليفـة الثـاني عمـر بـن الخطـاب حينما قال لو لا علي لهلك عمر في أكثر مـن خمسـين موضعـاً في كتب السير والتأريخ.

ولا نستكثر عليه ذلك و لم العجب وقد قـال فيـه الرسـول صلـى الله عليـه وآلـه وسـلّم: (أعلمكـم علـي أقضـاكم علـي

أفقهكم علي، علي مني وأنا من علي أنا مدينة العلم وعليّ بابها، أنا دار الحكمة وعليّ بابها) (١).

وبعد هذا الصبر الطويل الذي دام أكثر من ٢٥ عاماً بحسب المنقول، كان للإمام دوراً آخر أكثر ثباتاً وصبراً، وذلك لّما تصدى لقيادة المسلمين بعد وفاة الخلفاء الثلاثة[1] حيث شنت عليه الغارات الثلاث الخ : (الجمل - صفين - النهروان) وخرج من كل هذه المعارك منتصراً ظافراً (٢).

وكان في كل معركة مثال الصبر بل كان هو عنوان الصبر لمن أراد أن يتعلم الصبر. وهكذا تصدى لكل الهجمات الشوفينية بكل عزمٍ وثبات. وما إن انتهت المعارك الثلاث إلا والإمام بدأ حركة الإعداد للقاء الله تعالى... ومدة خلافته كانت خمسة سنوات لا غير.

ذات مرة دخل عليه عبد الرحمن بن ملجم المرادي اليهودي وهو قاتل إمامنا صلوات الله عليه قال يا علي إني أحبك وذلك بمحضر أصحاب الإمام والتابعين وكان الحسن

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) راجع كتب التأريخ.

بن علي عليهما السلام حاضراً، قال الإمام وإني لا أحبك؟؟

فتعجب جميع من حضر المجلس، فقال الإمام الحسن عليه السلام أبتاه الرجل يقول إني أحبك وأنت تقول وإني لا أحبك؟؟

فقال الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام وهو يريد بذلك إسماع الحاضرين، من باب إياكِ أعني واسمعي يا جارة...

قال بني هذا قاتل أبيك علي، فقال الحسن عليه السلام أبه يا أمير المؤمنين إن كنت تعلم هذا قاتلك إذن لمَ لا تقتص منه؟؟

فقال علي عليه السلام بني حسن نحن أهل بيت لا نقتص قبل الجناية.

والذي نريده من هذه القصة ما يلي:

١- ليس من المنطق للحاكم وهو يحكم بالقرآن والسنة الشريفة أن يجري القصاص قبل حدوث الجريمة...

٢- نفهم من هذه القصة، بأن الإمام كان يعلم ويعرف من هو قاتله وذلك بعلم الله...

٣- صبر الإمام وتجلده على المحن وأغوار الدنيا أنه يرى

قاتله ويسلم عليه ويجاريه مع كل ذلك هـو يعلـم علـم اليقـين بأن هذا الرجل أي عبد الرحمن المـرادي هـو القـاتل الحقيقـي، الذي سيقوم بجريمة القتل مع ذلك نجد الإمام محتسـب وصـابر لا ينزل عليه عقاب ولا يوجه إليه أي خطاب.

فإن دلّ على شيء إنما يدل على طول النفس وروح الصبر عند الإمام عليه السلام.

نماذج واقعية للصبر

نستعرض، في هذا الجزء من الكتاب، بعض الأمثلة على الصبر من حياة عدد من الأنبياء والرسل الذين أنزل الله عليهم الوحي وكذلك الائمة (ع) الذين مارسوا الصبر أيضاً، ونجد معلومات عن حياتهم في القرآن الكريم والسنّة المطهرة .

النبي أيوب عليه السلام

كان النبي أيوب غنياً، ثم تعرض لمصائب جمّة فصبر عليها، فقد فجع هذا النبي الصابر في أهله وخدمه وحاشيته وممتلكاته الأخرى، وهجره أصدقاؤه غير الصادقين، كما أصيب بأمراض مختلفة، ولكنه بقي راضياً بمشيئة الله.

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ

أَهْلَـهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِـنْ عِندِنَـا وَذِكْـرَى لِلْعَابِدِيـنَ﴾ (الانبياء/٨٣-٨٤)

عاش النبي أيوب عليه السلام في الجزيرة العربية في الحقبة التي سبقت ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم بـألفي سنة تقريباً. وكان رجلاً غنياً، مداوماً على الصلاة، فاختبره الله واختبر صبره، وفجأةً حلت به الكوارث، الواحدة تلو الأخرى، فقد قُتل عماله المستأجرون، وسرقت ماشيته، وفي أثناء إبلاغه بذلك وقعت عليه فاجعة أخرى، فقد نهب جماعة من اللصوص كما ما لديه من جمال، ثم سمع بما هو أدهى وأعظم، إذ علم بأن أولاده وجماعة من الناس قد هلكوا في إعصار عندما سقط عليهم سقف وقتلهم.

بالرغم من كل هذه المصائب والويلات، لم يتزحزح إيمان النبي أيوب عليه السلام، فقد احتفظ برباطة جأشه وخضوعه لله. وقد توالت الكوارث عليه إذ أصيب بمرض جلدي، قد يكون الجذام أو البرص فهجره أصدقاؤه، ومع ذلك لم ينبس بكلمة تذمر واحدة وتحلّى بالصبر.

﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ أَمْوَاتٌ

بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَكِن لاَ تَشْعُرُونَ * وَلَنبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ وَالأنْفُسِ وَالَّثمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لِلّهِ وإنَّآ إلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة/١٥٣-١٥٧).

إن خسارة النبي أيوب عليه السلام لكل ثروته وممتلكاته وفجيعته بأولاده وعماله وكذلك إصابته بالمرض الجلدي لم تؤثر في نفسيته، ولكنه حزن لأن أصدقاءه كالوا له التهم الباطلة ما أبكاه، وذلك عندما ادعوا بأن الله قد عاقبه لاقترافه الموبقات والذنوب. وقد خضع النبي أيوب عليه السلام لله وصلى ودعا الله أن يشفيه من المرض، وما أن تم صلاته حتى أتاه أمر الله: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (ص/٤٢).

فانبجست عين ماء في الموضع الذي ضربه بقدمه، فغمس بدنه في مائها وشفي بإذن الله. وعندما خرج من الماء لم يكن قد استعاد عافيته فقط بل استرجع شبابه وحيويته، حتى أن زوجته لم تعرفه لأول وهلة، وفوق ذلك أعطاه الله ثروة وأولاداً كثيرين، وهكذا شمل الله نبيه أيوب عليه السلام برحمته الواسعة، وأعطاه ضعفي ما كان لديه من السابق لأنه

صارع الشر بأفضل الأسلحة، وهي التواضع والصبر والإيمان: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص/٤٤).

ويعتبر النبي أيوب عليه السلام نموذجاً للصبر والتحمّل، أي لفضيلة السيطرة على التذمر والثورة المعبر عنها بالكلمة أو الفعل أو حتى بالتفكير، كما يعتبر نموذجاً إيجابياً للإحسان الكامل وقبول نعمة الله بتواضع وشكر، وقد قصّ القرآن قصة النبي أيوب عليه السلام لتكون نموذجاً يتعلم منه الناس كيفية التعامل مع المصائب عقلياً وأخلاقياً، ويمثل هذا النبي الصابر صورة الإنسان في أعلى درجات الصبر الذي كانت نتيجته الخلاص، كما تؤكد لنا قصته بأنه لا يوجد عذر لإهمال عبادة الله، حيث داوم عليها النبي أيوب عليه السلام رغم العذاب والمآسي التي حاقت به.

الأنبياء إسماعيل وإدريس وذو الكفل عليهم السلام

تحلى هؤلاء الأنبياء بالصبر: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الانبياء/٨٥).

ولقد قدم لنا النبي إسماعيل عليه السلام أروع مثل في الاستعداد للتضحية والصبر؛ حيث رضي بأن يكون النذر المذبوح لله، وشجّع أباه النبي إبراهيم عليه السلام على القيام

بواجبه والتضحية بـه ولكن هذه التضحية لم تتم فقد استبدل النبي إسماعيل عليه السلام بكبش عظيم بأمر الله.

﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الصافات١٠٢).

وتتضح نوعية صبر النبي إسماعيل عليه السلام وثباته في صلاته وإحسانه: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً** ﴾ (مريم/٥٤-٥٥).

ويصف القرآن الكريم النبي إسماعيل عليه السلام بأنه كان صادقاً ومخلصاً لمواثيقه، وكان أهله يسمونه الصادق، ويشير إليه القرآن الكريم بالصبور.

وقد أمر الله النبي إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل عليه السلام ببناء الكعبة، البيت الذي يعبد فيه الله في مكة، وكان للنبي إسماعيل عليه السلام اثنا عشر ولداً، أحدهم هو من أجداد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

وكان النبي إدريس عليه السلام من الذين صبروا وثبتوا في صبرهم: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً** *

وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ (مريم/٥٦-٥٧).

وقد حافظ النبي إدريس عليه السلام على صِلاته بشعبه وقومه و لم يتقاعس في أداء واجباته، وحافظ على صدقه وإخلاصه إلى أقصى الدرجات، ويذكرنا هذا بأن الجهاد لبلوغ أعلى درجات الكمال الروحي يجب ألاّ يعيق الفرد عن أداء واجباته نحو أتباعه، وفي حالة النبي إدريس عليه السلام فقد بلغ هذه المرتبة من الكمال الروحي وأشرك قومه في ثمارها.

وبسبب غزارة علمه ومعرفته، سُمّي بالنبي العارف، وكان أول من كتب بالقلم، وقد وَسع علمُه مجالات عديدة مثل العلوم والحساب والطب، وحذق عدة لغات، ولأنه كان يدعو إلى بلوغ الصحة الروحية للإنسان فقد كان يذكّر الناس بأن المادية تتناقض مع الدين، وأن الحياة على الأرض قصير، وقد انتصر بصبره وثباته على أولئك الذين سعوا إلى حرفه عن الحق.

وقد تحلى النبي ذو الكفل عليه السلام بالصبر والثبات حتى عندما قاموا بتقييده وتعذيبه في السجن، وثبت على دينه بالرغم من الشرور التي أصيب بها مجتمع بني إسرائيل في ذلك الحين، وقام بتحدي قادة إسرائيل المزيفين الذين استغلّوا الناس في سبيل تحقيق أغراضهم الشخصية.

النبي داود عليه السلام

كان من أسباب نجاح النبي داود عليه السلام في أداء مهمته الرسالية قوة الشجاعة والإرادة: ﴿ **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ (ص/١٧).

وكان النبي يتمتع بقوى عقلية وبدنية استثنائية، وقد وقف طالوت ملك بني إسرائيل على رأس جيشه في مواجهة أعدائهم بقيادة جالوت ودعا الله أن يمن عليهم بالصبر والثبات: ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ (البقرة/٢٥٠).

وقد رفض داود السلاح الذي أعطاه إياه الملك طالوت، وذهب إلى جالوت وهو مسلحاً بأنشوطة وحجارة، وبفضل ثباته وتصميمه استطاع أن يضرب عدوّه بالحجر ثم ينتزع منه سيفه ويقتله به، وقد كتب الله له ولقومه النصر على أعدائهم.

وأنزل الله على النبي داود عليه السلام الزبور، ووهبه صوتاً رخيماً يؤثر في عقول مستمعيه وقلوبهم، حتى استطاع أن يوصل الذكر إلى الحيوانات والطيور.

ما هي الحكمة التي نتعلمها من قصة النبي داود عليه السلام؟

نتعلم أن الصبر والتصميم والشجاعة منتصرة على القوة العددية

لأن القوة الحقيقية والحكمة تنبعان من الإيمان والحق، وبالإضافة إلى النبي داود عليه السلام فقد صبر أنبياء آخرون، مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد صلى ا لله عليه وآله وسلّم، وثابروا على جهادهم بثبات حتى بلّغوا رسالاتهم.

النبي يعقوب عليه السلام

كان أخوة يوسف يكيدون لأخيهم، وقد ذهبوا إلى أبيهم النبي يعقوب عليه السلام في أحد الأيام كما يصف ذلك القرآن الكريم: ﴿ **قَالُوا يَآ أَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَآءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ** ﴾ (يوسف/١٧-١٨).

ما اعظم هذا الإيمان الروحي الذي أبداه النبي يعقوب عليه السلام عندما أُبلغ بأن ابنه يوسف أكله الذئب، وكان يعلم بأن ذلك غير صحيح، وقد اتّخذ هذا الموقف بفضل صبره وثباته، إنه شعور ينبع من النفس الداخليلة المفعمة بالصلاح والإيمان، وهو شعور لا يمكن إيقافه وقد صبر النبي يعقوب عليه السلام واضعاً ثقته با لله عزّ وجلّ، وفيما بعد أصبح

يوسف وزيراً في مصر، وبعد أن وضع أخاه تحت رعايته كشف عن هويته لأخوته: ﴿ **قَالُوا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (يوسف/٩٠).

انتهى عذاب يوسف الذي صبر عليه سنوات طويلة عندما أبدى صبراً وتعاطفاً مع أخوته -الذين ظلموه من قبل، ثم امرهم بحمل قميصه إلى والدهم- وهو يذكر بقميصه الملوّث بدم كذب الذي استعمله أخوته لتسويغ اختفائه المدبر من قبلهم -ووضعه على وجه أبيه النبي يعقوب عليه السلام حتى يستعيد بصره، فعلينا أن نتذكر الله في كل حين: ﴿ **فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ** ﴾ (ق/٣٩).

إن افضل الأوقات لتذكر الله هي أوقات الصلاة، لذا علينا أن نثابر على ذلك لأن الله يسمع صلاتنا، كما علينا اتباع سنّة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم في حبّه للصلاة ومداومته عليها حتى لا نحيد عن سواء السبيل، ويروى عن الإمام علي عليه السلام بأن الرسول صلى الله عليه وآله كان مداوماً على صلاته وأمر أتباعه بذلك اتباعاً لأمر الله.

الإمام علي زين العابدين عليه السلام

هو ابن الإمام الحسين عليه السلام (حفيد النبي صلى الله عليه وآله وسلّم)، وقد ولد في عام ٣٨هـ (٦٥٨ ميلادية)، وتوفي في الثامنة والخمسين من عمره، وبعد استشهاد والده أصبح الإمام علي زين العابدين إماماً لمدة أربع وثلاثين[1] سنة، كان فيها مداوماً على الصلاة والدعاء والتذكير بمصيبة والده، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة حتى عرف بين الناس بالسجاد وزين العابدين، وكان إذا توضأ تغيّر لون جلدة، كما عرف بكظمه للغيظ، وقد استشهد هو أيضاً.

حمل الإمام زين العابدين راية الدفاع عن الإسلام بعد استشهاد والده في سبيلها، وهو الذي أعاد الناس إلى الطريق القويم، وذلك لأنه كان مثال القدوة الصالحة في العبادة والصلاة التي هي عماد الإسلام، ولقد تم تدوين أدعيته في كتاب معروف بالصحيفة السجادية يجدر بكافة المسلمين تعلمها واتباعها.

الإمام موسى الكاظم عليه السلام

هو ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. ولد في سنة ١٢٨ هجرية (٧٤٥ ميلادية)، وعاش حوالي خمساً وخمسين

سنة، وقد قضى أغلب عمره في السجن، حيث استشهد على يد شرطة مدعي الخلافة هارون الرشيد. ولقد انتصر صبر الإمام موسى الكاظم عليه السلام وثباته على الجرائم البشعة لسجّانيه، وقد لقب بالكاظم لأنه كظم غيظه.

وكان مداوماً على الصلاة لأوقات طويلة أثناء الليل، حتى أن صلاته كانت تتصل مع صلاة الفجر ويستمر في ذلك حتى طلوع الشمس. وكان صبره في الصلاة استثنائياً فقد يظل ساجداً أمام الله، من دون أن يرفع رأسه ساعات طويلة، وعلى الرغم من عدم تمكنه من مخاطبة المسلمين كما كان يفعل والده الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأن الحكام الطغاة في زمانه منعوه من ذلك، فقد استطاع أن يعلم أتباعه الإسلام، وقد ترك لنا الإمام عليه السلام تراثاً من الحلم والصبر لنستعمله في وجه الاضطهاد والطغيان.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

هو والد آخر الأئمة محمد المهدي، وقد ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٣٢ هجرية (٨٤٦ ميلادية)، واستشهد وعمره ثمان وعشرون سنة، ولا جدال فقد كان إخلاصه لله وصبره ذروتين في إيمانه، ويذكر لنا مؤرخون

سيرته معجزةً حدثت له عندما كان مسجوناً في سجون العباسيين فقد بَهَر سجانيه المكلَّفين بتعذيبه بكثرة عبادته وطول تهجده ومناجاته لربّه، وهؤلاء أنفسهم قالوا إنّهم لا يدرون كيفية حدوث ذلك؛ إذ أنهم وجدوا أنفسهم فجأةً في حالة من الإيمان جعلتهم يتعبدون ويصلون ويصومون، وكان تفسيرهم لذلك بأن مشاهدة الإمام صائماً آناء النهار ومصلياً طوال الليل من دون راحة أقنعتهم بأنه رجل عادل وتقي، وعندما كان الإمام ينظر إليهم كانوا يرتعشون ويشعرون بأحاسيس لم يجربوها من قبل. وقد أغضب ذلك العباسيين الذين أمروا بوضع الإمام مع حيوانات كاسرة لتفترسه، ولكن حدثت معجزة أخرى، فقد دهش العباسيون لمنظر الإمام وهو يصلي والحيوانات المفترسة تحوم حوله كأنها تحرسه، ولقد كان الإمام قائداً للصابرين والصامدين يتخذونه قدوةً فيتبعون بذلك نهجاً يفضي إلى الجنة.

آسيا عليها السلام

عرف التأريخ نساء ضربن المثل في الصبر ، وهنَّ جديرات بأن يُذكَرن إلى جانب الأنبياء والأئمة ، ومن أبرزهن :آسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة الزهراء : ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ**

ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم/١١).

إن ثبات آسيا على إيمانها أمر مثير للإعجاب الشديد، وبخاصة لأن زوجها "فرعون" كان رجلاً شريراً ومتغطرساً، وقد رفضت آسيا كل مظاهر العظمة والثروة التي كانت رهن إشارتها بوصفها زوجة فرعون وانصرفت إلى عبادة الله.

مريم الصديقة عليها السلام

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (التحريم/١٢).

لم تكترث مريم بتخرصات اليهود الذين اتهموها في عفتها، وكانت قد صانت إيمانها وطهرها وولدت النبي عيسى عليه السلام وهي بتول، وتجدر الإشارة إلى أنها الأنثى الوحيدة التي يذكرها القرآن بالاسم، كما تحمل إحدى سور القرآن اسمها، ويجب انتباه إلى أن مصطلح روح أو روح الله الذي يرد في الآية الكريمة السابقة لا يدل على أن لله روحاً بالمفهوم العادي، لأن ذلك يعني بأن الله ليس واحداً

أحداً -أي أنه متعدد [تعالى ا الله عما يصفون](*)- وربما يقصد بالروح هنا قدرة ا الله أو صفة من صفاته الربانية.

ويضع المسلمون السيدة مريم في أعلى الدرجات بين البشر، وهي المكانه الرفيعة التي نص عليها القرآن الكريم كما وصف أيضاً تواضع النبي عيسى عليه السلام لوالدته وبرِّه بها: ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَآءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ (آل عمران/ ٤٢-٤٣).

السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام

كانت خديجة أول زوجة للنبي صلى ا الله عليه وآله وسلّم، وكانت تكبرة بخمس عشرة سنة عندما تزوجها إذ كان عمرها أربعين سنة فيما كان الرسول ابن خمس وعشرين. وقبل هذا الزواج كانت خديجة ذات ثروة كبيرة، وقد عمل النبي محمد صلى ا الله عليه وآله وسلّم لديها قبل تكليفه بالرسالة، وقد أعجبت خديجة بأخلاقه ما قاد إلى زواجهما.

كانت خديجة أول امرأة تؤمن برسالة الإسلام، وهي أم فاطمة الزهراء، زوجة الإمام علي عليه السلام، وأثناء المرحلة

(*) مضافة من قبل المؤلف.

الأولى الحرجة، من ظهور الإسلام، كانت أفضل وأقوى عون للنبيّ؛ وذلك في وقتٍ كان يتعرض فيه هو وأتباعه لأقسى أنواع الاضطهاد بسبب اتباعهم للدين الجديد، وقد أظهرت السيدة خديجة في تلك المرحلة صبراً وثباتاً نادرين في وقوفها إلى جانب زوجها النبي العظيم، وتوفيت السيدة خديجة بعد زواجها من النبي بخمسة وعشرين عاماً، وكانت حياتهما معاً سعيدة ومشرقة، أما ابنتها فاطمة فقد تزوجت الإمام علياً عليه السلام ابن عم الرسول.

الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام

هي ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم من السيدة خديجة وزوجة الإمام علي عليه السلام وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يكنون لها أعظم الاحترام، ومن ألقابها الزهراء وسيدة نساء العالمين، ولقد تمثلت فيها أعظم صفات المرأة وأطهرها، فكانت النموذج الذي على كل النساء المسلمات الاقتداء به.

رضيت السيدة فاطمة الزهراء بالإمام علي عليه السلام زوجاً، بعد رفضها العديد من الذين تقدموا لها، ويبين هذا الحدث المهم أنّ النبي أعطى ابنته المجال لتختار الأفضل.

وكان الطهر صفتها مثل أبيها وزوجها وولديها الإمامين الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام، وكانت المثل الأعظم للابنة والزوجة والأم، وقد سمت إلى الذروة في فضائل التقوى والورع والعطف والرقة والتواضع والكرم، واستحقت المرتبة الأرفع لصبرها وثباتها، وقد كرمها الله بأن تكون سيدة النساء في الجنة، كما سماها والدها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم بسيدة نساء العالمين وقد قال عنها: (إن الله عز وجل يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها) [كنز العمال: ٢١٩/٦].

توفيت فاطمة بعد وفاة أبيها بعدة شهور، وأثناء حياتها، كان قنوتها لله فوق أي أمر دنيوي، وهل توجد قدوة أفضل من إنفاقها كل ما تملك تقرباً في سبيل الله؟! وقد جاعت مرات ومرات، لأنها تصدقت بطعامها على المحتاجين.

القيادة الإسلامية مثال على الصبّر

عناصر القيـادة

القيادة مصطلح شائع، يكثر الحديث عنها والنقاش في شأنها، وهي مثل ذلك المخلوق غير الملموس الذي يعيش في جبال الهملايا، وقد ادعى كثيرون بأنهم اكتشفوا آثار أقدامه لكن أحداً لم يشاهده بأم عينيه، وهي عملية تحريك مجموعة أو مجموعات من الأفراد باتجاه محدد بوساطة أساليب غير قسرية عادة. والقيادة الفعّالة هي التي تؤدّي إلى نشاط يحقق مصلحة الجماعة على المدى الطويل، وقد يكون هذا التعريف ملائماً لمديري شركات أو مؤسسات الأعمال الخاصة، ولكن المسلمين بحاجة إلى نوع مختلف من القيادة، ألا وهي القيادة الإسلامية الروحية.

القيادة الإسلامية

إن للقيادة الإسلامية، مكانة خاصة في تأريخ الإسلام، ولقد مارس جميع الأنبياء قيادة روحية، لكننا سنركز في مبحثنا هذا على القيادة الروحية للإمام الحسين عليه السلام حفيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم.

القيادة المتمثلة في شهادة الإمام الحسين عليه السلام

اختبرت القيادة الإسلامية في أيام حكم يزيد بن معاوية الذي ادّعى خلافة المسلمين باطلاً، وتصدى له الإمام الحسين عليه السلام، حفيد النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وابن الإمام علي عليه السلام من زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام واستشهد الإمام في سبيل نصرة الإسلام، لم يكن الإسلام مهدداً فقط وإنما كان على شفى الانهيار والخراب، ولكن ما هو مصدر هذا التهديد؟ إن العديد من الناس يعتقدون بأن جهاد الإمام الحسين عليه السلام كان موجهاً ضد يزيد الطاغية الذي ادعى خلافة المسلمين، ولكن التحليل العميق يبيّن لنا أنّ مهمة الإمام الحسين عليه السلام الأساسية هي إيقاف أولئك الذين فرطوا في القيم والمثل الإسلامية، والتي هي جوهر الإسلام.

قاتل الإمام الحسين عليه السلام في كربــلاء، واستشـهد في سبيل الإسلام، وقد خطب في أتباعه يحثهم على القتال وطلب الشهادة، وكـرر عليهـم وصيتـه بالصـبر، ووصـف المـوت بأنـه الجسـر الـذي يجـب أن يعبروه ليصلـوا بعـد ذلـك إلى الجنـة ومباهجها، وقد استجاب أتباعـه القليلون لهذه الدعوة وضحّـوا بأنفسهم في سبيل الإسلام، يقـول عليـه السـلام: (ألا تـرون أن الحقّ لا يُعمل به وأن الباطل لا يُتناهى عنـه، ليرغب المؤمـن في لقاء ربّه محقّاً، فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً). [تأريخ الطبري: ٣٠٥/٤ أحداث سنة ٦١هـ].

شهر الإمام الحسين عليه السلام سيفه، في سـاحة المعركـة، ضد الطغيان والظلم والقيـادة المنحرفـة ليزيد وأعوانـه، وضـد الذين خذلوه وأخلوا بوعودهم، ولم ينصروه في قتاله، فأضـاعوا قيمهم ومثلهم الإسلامية.

ومثّل جهاد الإمام الحسين عليه السلام رسالة إلى المسـلمين الذين قرُّوا في بيوته، بانتظار معرفة نتيجة المعركة حتـى يعلنـوا عن ميلهم إلى الفريق المنتصر.

وتعد أيام ثورة السبط الشهيد عليه السلام من أحرج أيـام التأريخ وأعظمها، فقد رأى الإمام الحسين عليه السلام الخطـر

المحيق بالإسلام في القرون اللاحقة، عندما سيهمل المسلمون القيم والمثل الإسلامية، وأدرك بأن عليه أن يقوم بأمر ما في سبيل منع ذلك، لذا فقد ضحى بحياته، حتى نفكر نحن. بتلك الأيام المفجعة والمروعة في كربلاء، ونقارن ذلك بأوضاعنا في هذه الأيام وندرك بأننا أيضاً قد فرّطنا في قيمنا ومثلنا الإسلامية، وربما بصورة أسوأ من أولئك المسلمين في زمن الإمام الحسين عليه السلام الذين قاتلوه أو خذلوه.

كانت حياة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته مثالاً أرفع للصبر وجوهره، لأنه كان سائراً نحو هدفه السامي، ولم يحد عنه قيد أنملة، وحافظ على تقواه واختار الصراط المستقيم، وانتهت حياته بالشهادة في سبيل حماية الإسلام، وكان القدوة الكاملة في كربلاء، ومن ذلك محافظته على الصلاة التي كانت بمثابة النور الذي اجتذب بعض أعدائه إلى صفّه، فعندما رأى الحر الرياحي الإمام وأتباعه منهمكين بالصلاة والعبادة ترك معسكر جيش يزيد والتحق بالإمام عليه السلام وأتباعه.

لقد علّمت مواقف الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء الناس التمسك بالدين التضحية من أجله، وألهمتهم أن طريق التقوى والخلاص يتمثل بالصلاة والصبر، وأن طلب والمعرفة

والحكمة والثروة والراحة غير ذي معنى أو قيمة من دون أساس الإيمان، وأمان النفس ينتج عن الصلاة، إن من المهم السعي وراء المعرفة والعلم ولكن هذه الحاجات يغذيها الوعي الذاتي الناتج عن المواظبة على الصلاة.

شهدت القرون التي تلت شهادة الإمام الحسين تفريط المسلمين، مراراً وتكراراً، بقيمهم ومثلهم الإسلامية، ففي عهد الأمويين والعباسيين ، كما هو الحال في الوقت الحاضر ، يتعرض الإسلام للتهديد في كافة أرجاء المعمورة، فالعديد من الدول الإسلامية لا تسمح لرعاياها بحرية العبادة خلافاً لما هو موجود في الدول الغربية، إن المشكلة هنا عميقة الجذور، وتكمن في المسلمين أنفسهم أو في العديد منهم الذين يشعرون بأن عليهم أن يتخلوا عن تقاليدهم وطريقة حياتهم وسلوكهم الإسلامي حتى يتقبلهم المجتمع غير المسلم الذي يعيشون فيه، وكما أشرنا سابقاً فإن هؤلاء المسلمين قد انحدروا إلى الدرك الأسفل لأنهم استبدلوا الإسلام بطريقة حياة ملائمة ومقبولة اجتماعياً.

إن الصبر مطلوب وضروري في أفضل الظروف وأسوئها،

ففي الوقت الذي تعتبر الثروة نعمة عظيمة فإنها أيضاً اختبار صعب للإيمان: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (هود/١٠-١١).

علينا أن نتأمل شهادة الإمام الحسين عليه السلام ونتعلم من المثل العظيم الذي ضربه لنا. ولأنه لا يجوز التفريط بالإسلام علينا أن نتعلم أصوله، وهذا يتطلب معرفة ما هو إسلامي وما هو غير إسلامي، والمطلوب منك هو أن تخضع لمشيئة الله، وأن نتأكد من صحة إيمانك، وأن تؤمن برسالة الإمام الحسين عليه السلام وتقبل التحدّي الذي يطالبك بالجهاد في سبيل الله حتى ترتقي بإيمانك، وعليك أن تكون صبوراً وفعالاً في أداء واجباتك الإسلامية، وليكن فكرك صحيحاً حتى يصمد إيمانك ويكون سلوكك قدوة للآخرين، وعليك أن تتحلى بالصبر في كل الأوقات والظروف.

كلمة الختام

وبعدما طويت أخي القارئ هذه الصفحات المتواضعة عساني قد وفرت لك البحث اللازم، والذي يسهم في إخراجك من أهم المشاكل بكل صبر وثبات. ثَبّتَنا وإياكم على ولاية أمير المؤمنين وسيد الصابرين.

وأرجو من الله أن قضيت معي وقتاً ممتعاً بقراءة هذا الكتيب. ورجائي أن ترشدني إن رأيت فيه زلة أو خطيئة عصمنا وإياكم من كل زلل.

وبالله التوفيق.

أهمّ المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- نهج البلاغة.

٣- الصحيفة السجادية.

٤- بحار الأنوار.

٥- لئالئ الأخبار.

٦- كنز العمال.

٧- مسكن الفؤاد.

٨- مشكاة الأنوار.

٩- تفسير البرهان.

١٠- عيون أخبار الرضا.

١١- ثواب الأعمال.

١٢- أمالي الشيخ المفيد.

١٣- من لا يحضره الفقيه.

١٤- كحل البصر في معرفة سيد البشر -عباس القمي.

١٥- قصص الأنبياء -نعمة ا لله الجزائري

١٦- أصول الكافي.

١٧- أمالي الشيخ الصدوق -للشيخ الصدوق.

١٨- فلاح السائل.

١٩- سيرة ابن هشام -لابن هشام.

٢٠- منتهى الآمال للشيخ عباس القمي.

٢١- كلمة الرسول الأعظم -الشهيد السيد حسن الشيرازي.

٢٢- محاضرة ألقاها المؤلف في الكويت.

الفهرس